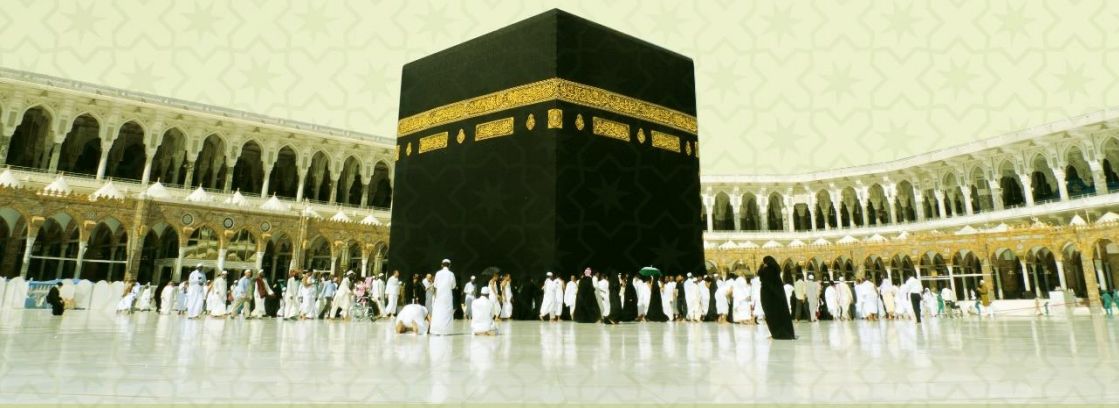


مناجاة حاج

جمع وإعداد:

خالد إسماعيل مصبح

غفر الله له ولوالديه والمسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة: ﴿

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فهذه تأملات لطيفة في مناسك الحج والعمرة، تكشف لك أخي الحاج عن شيء من حقائق الحج وروحه، فعسى أن تخشع في حجك وترتقي بإذن الله تعالى إلى أعلى مقامات الإيمان، فتحج مخلصاً متبعاً.. محباً خاشعاً مشتاقاً كأنك ترى الله ﷻ.

وهذا باب عظيم غفل عنه كثير من الناس إلا من رحم الله! فعن مجاهد رحمه الله: (أن رجلاً رأى وفود الحجيج فقال: ما أكثر الحاج! فقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما أقلهم!)¹، وقال شريح رحمه الله: (الحاج قليل، والركبان كثيرة)².. اسأل الله بمنه وكرمه أن يتقبل منا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

¹ رواه عبد الرزاق (8836).

² رواه عبد الرزاق (8837).

تنبيه: ستكون هذه التأملات على صورة مناجاة من القلب لله تعالى تيسيراً للقارئ وتشويقاً، فلا تظن أنها أوراد تقال باللسان في مناسك الحج، فالزم السنة، ولا تكُ من المتكلفين.

❖ حقيقة الحج وروحه:

ربِّ.. دعوتني فأجبتك، والفضل لك أولاً وآخرأً، يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾¹ تركت مالي وولدي.. وزوجي وأهلي.. وبلدي وعملي.. بل أنخلع من ثيابي وألبس لباس الذل.. نَفْسِي وأنا سائر إليك "لبيك اللهم لبيك" محباً مشتاقاً.. خاشعاً ذليلاً.. تجردت لك من كل شيء وهاجرت إليك وحدك، فكأن الحج صورة عملية ل (لا إله إلا الله) بالتجرد لله تعالى، وبالوفادة عليه تعالى عند بيته.

ربِّ.. القلوب مشتاقة إليك.. العيون متلهفة للنظر إليك.. لذتنا بذكرك.. أنسنا بعبادتك.. فما بقي لنا إلا أن نغد إليك حتى نعم بلقائك، والنظر إلى وجهك جلّ جلالك.. وأنت لنا هذا في الدنيا ونحن عبيدك الضعفاء الفقراء، وأنت الله الكبير المتعال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

¹ سورة الحج (27).

أَسْتَوَى¹ (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)² فرحمت ضعفنا وجبرت قلوبنا، فجعلت في الأرض بيتًا شريفًا هو بيتك، ودعوت الناس لزيارته، فمن حجه فقد وفد عليك وفاز بقربك.

(لما أضاف الله تعالى البيت إلى نفسه ﴿وَوَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم)³، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (استمتعوا بهذا البيت)⁴، ويقول كعب رحمه الله: (الحجاج والعُمّار وفد الله، سألو فأعطوا، ودعوا فأجيبوا)⁵، ويقول حبيب بن أبي ثابت: (كان يقال: اتوا الله في بيته، فإنه لم يؤت مثله في بيته، ولا أحد أعرف بالحق من الله)⁶.

¹ سورة طه (5).

² رواه مسلم (179).

³ لطائف المعارف (421).

⁴ رواه ابن أبي شيبه (4290) موقوفًا، وروي مرفوعًا كما عند ابن خزيمة (2506)، وقال: (غريب غريب!)، و البزار (6157) وقال: (وهذا الحديث لم نسمع أحدًا يحدث به إلا الحسن بن قزعة عن سفیان بن حبيب، وقد روي عن حماد عن حميد عن بكر عن ابن عمر موقوفًا) ويقوي وقفه رواية يزيد بن هارون عن حميد به موقوفًا، كما عند ابن أبي شيبه.

⁵ رواه ابن أبي شيبه (12652)، وعبد الرزاق (8803) ونحوه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما كما عند ابن أبي شيبه (12653) وروي مرفوعًا من طرق ضعيفة لعلها لا تتقوى، ورجح أبو حاتم في علله (1007)، والبيهقي في سننه (262/5) بالنظر إلى بعض الطرق أنه من كلام كعب، وانظر تحقيق سنن ابن ماجه للأرناؤوط (2892)، والله أعلم.

⁶ حلية الأولياء (61/5).

وتأمل كلامًا بديعًا لابن القيم في حقيقة الحج يقول رحمه الله: (وأما الحج فشأن آخر لا يدركه إلا الحنفاء الذين ضربوا في المحبة بسهم، وشأنه أجلّ من أن تحيط به العبارة... وهو خاصة الحنيفية، ومعونة الصلاة، وسرّ قول العبد لا إله إلا الله، فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة، وهو استزارة المحبوب لأحبابه، ودعوتهم إلى بيته ومحل كرامته؛ ولهذا إذا دخلوا في هذه العبادة فشعارهم؛ لبيك اللهم لبيك، إجابة محب لدعوة حبيبه؛ ولهذا كان للتلبية موقع عند الله، وكلما أكثر العبد منها كان أحب إلى ربه وأحظى فهو لا يملك نفسه إلا أن يقول: لبيك.. لبيك، حتى ينقطع نفسه¹).

رب.. كأني في يوم الحشر.. يلبس الحجيج لباس الموت.. يقفون على صعيد واحد بعرفات والشمس على رؤوسهم.. يجأرون إلى الله تعالى..
تأمل كيف افتتحت سورة الحج بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾² واختتمت آيات الحج في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾³.

¹ مفتاح دار السعادة (323/2).

² سورة الحج (1).

³ سورة البقرة (203).

هذا من فضل ربي: ﴿٥﴾

ربِّ لك الحمد أولاً وآخراً.. شرحت صدري للحج ويسرت لي سبيله
فجعلتني من وفدك الكرام، وحملتني إلى بيتك الحرام، كم من الناس من
يتمنى الحج ولا يجد سبيلاً؟! وكم من الناس من يجمع الأموال طيلة عمره
ليحج مرة واحدة في حياته؟! وكان (الحجاج الهنود فيما مضى يأتون على
السفن الشراعية، ويمكثون في البحر في طريقهم إلى مكة والمدينة مدة
طويلة، وكان بعضهم إذا رأى البر الذي فيه مكة والمدينة سجد لله شكراً
على ظهر السفينة)¹، وكم من الناس من عندهم ما يبلغهم ولكن لا
تنشرح صدورهم للحج؟! إنه فضل ربي وحده ﷻ، يقول علي بن الموفق
رحمه الله: (جلست يوماً في الحرم بمكة وقد حججت ستين حجة، فقلت
في نفسي: إلى متى أتردد في هذه القفار؟ ثم غلبتني عيني فنمت، وإذا قائل
يقول: يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب؟ فطوبى لمن حمله
المولى إلى المقام الأعلى، وأنشد:

دعوت إلى الزيارة أهل ودي ... ولم أطلب بها أحد سواهم
فجاؤوني إلى بيتي كراماً ... فأهلاً بالكرام ومن دعاهم).²

¹ فضل المدينة، للشيخ عبد المحسن البدر (26).

² رحلة الصديق (13).

ومهما تعسرت الأسباب، وغلقت الأبواب، فلا تيأس من رحمة الله تعالى، فالله على كل شيء قدير، يُقرب إلى بيته من يشاء.. كيف يشاء! (كان مسلم بن يسار رحمه الله يحج كل سنة، ويحجج معه رجالاً من إخوانه، فأبطأ عامًا حتى فاتت أيام الحج¹، فقال لأصحابه: اخرجوا، قالوا: كيف؟! قال: لا بد أن تخرجوا، ففعلوا استحياء منه، فأصابهم حين جنّ عليهم الليل إعصار شديد حتى كان لا يرى بعضهم بعضًا، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تامة، فحمدوا الله، فقال: ما تعجبون من هذا في قدرة الله تعالى)².

ربِّ لك الحمد كلما تذكرت فضلك ازددت لك شكرًا وانكسارًا، فأعني على حسن عبادتك في كل نسك ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾³ فلولا فضلك لما طفت ببيتك، ولولا فضلك لما وقفت بعرفات، ولولا فضلك لما رميت الجمرات، عن وهيب بن الورد رحمه الله قال: (كثيرًا ما يأتيني من يسألني من إخواني فيقول: يا أبا أمية ما بلغك عن طاف بهذا البيت سبعا، ما له من الأجر؟ فأقول: يغفر الله لنا ولكم بل سلوا عما أوجب الله تعالى من الشكر في طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره)⁴.

¹ يعني إذا خرجوا لن يصلوا إلى مكة؛ لبعد بلادهم.

² السير (512/4).

³ سورة إبراهيم (7).

⁴ صفوة الصفوة (421/1).

﴿ أَيْهِمْ أَقْرَبُ ﴾:

رَبِّ أَرَى وَفُودَ الْحَجِيجِ الْغَفِيرَةِ آلِفًا مُؤَلِّفَةً يُلْبُونَ وَيَطُوفُونَ.. يَدْعُونَ وَيَبْكُونَ.. يَا تَرَى أَيْهِمْ أَقْرَبُ عِنْدَكَ؟ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴿هُمُ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾¹ فَمِنَ الْأُولَى؟ وَمِنَ الثَّانِي؟ وَهَلْ أَنَا مِنَ الْأَوَائِلِ؟ أَوْ أَنَا فِي ذَيْلِ الْقَائِمَةِ؟ مَا تَرْتِيبِي عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ مِنَ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾² (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَسْبِقَكَ إِلَى اللَّهِ أَحَدٌ فَافْعَلْ)³، رَبِّ لَوْ سَارَعَ الْحَجِيجُ أَوْ تَأَخَّرُوا فَإِنِّي لَا أَلْتَفِتُ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أُرِيدُ إِلَّا وَجْهَكَ ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾⁴ فَكُنِ الْأَوَّلُ فِي التَّلْبِيَةِ.. كُنِ الْأَوَّلُ فِي الطَّوَافِ.. كُنِ الْأَوَّلُ فِي الْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ.. كُنِ الْأَوَّلُ فِي رَمِي الْجَمْرَاتِ.. تَنَالِ السَّبْقَ فِي الْحَجِّ كُلِّهِ.

رَبِّ أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِي إِلَّا بِكَ، فَاجْعَلْنِي مِنْ وَفْدِكَ السَّابِقِينَ بِرَحْمَتِكَ، وَإِنَّمَا يَنَالُ السَّبْقَ عِنْدَ اللَّهِ بِسَبْقِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ (مَا سَبَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ)⁵.. وَمَا يُدْرِيكَ؟! مَسْكِينٌ أُمِّيٌّ.. رَثٌّ

¹ سورة آل عمران (163).

² سورة المطففين (26).

³ قاله وهيب بن الورد لطائف المعارف (244).

⁴ سورة طه (84).

⁵ لطائف المعارف (254).

الهيئة.. أشعث أغبر.. جاء من بلاد بعيدة وقد امتلأ قلبه شوقاً.. أخلص لربه تعالى.. انكسر قلبه.. تدمع عينه.. لا يعرفه أحد.. لعله الأول عند الله تعالى.. رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً على بعير، على رحل رث، خطامه حبل، فقال: (لعل هذا)!¹.

❖ فضل مكة²:

ما إن يرد على قلبي السفر إلى مكة إلا ويغمرني حنين عجيب إليها، وكأنه حنين الطفل إلى أمه، أليست أم القرى! هكذا سماها الله تعالى ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾³، وسميت (أم القرى):

- (لتقدمها أمام جميع القرى)⁴ شرقاً وفضلاً، وهل يُقدّم على الأم شيء؟!
- وكأنها أمٌّ، ومن حولها بناتها يرجعون إليها، حتى كانت مركز الأرض ووسطها⁵.

¹ مصنف عبد الرزاق (8836).

² انظر فضائل مكة للغبان، وخطبة جمعة للشيخ عبد المحسن القاسم في فضل مكة.

³ سورة الشورى (7).

⁴ تفسير الطبري (108/1).

⁵ انظر تفسير ابن عطية (322/2).

- الأم هي أصل الشيء ومرجعه، ومنشأ الدين والشرع منها¹، فكل قرية دخلها نور الإسلام فالفضل راجع إلى أمها (مكة)؛ ولهذا يتجه أهل كل قرية من المسلمين في الأرض إلى مكة، يُصلون إليها، ويحجون بيتها².
- وكما أنها أم القرى شرعًا، فهي أم قرى الأرض كونًا وخلقًا! يقول قتادة رحمه الله: (كنا نُحدِّث أن منها دُحيت الأرض)³، والواقع شاهد بذلك فعن مجاهد رحمه الله قال: (لما هُدم البيت⁴ وجد فيه صخرة مكتوب فيها: أنا الله ذو بكة، صغته يوم صغت الشمس والقمر، حففته بسبعة أملاك حلقًا)⁵.

فلا تقوم على الأرض حياة إلا إذا قام الناس بحق أم القرى فحجوا الكعبة المشرفة وعظموها، يقول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾⁶، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (والذي نفسي

¹ المصدر السابق.

² وهذا أحد الوجوه في تسميتها مكة؛ لأن أصل كلمة (مك) جذب المانع باستقصاء، يقال: (مك) العظم): امتص ما فيه من المخ، و(امتك الفصيل ضرع أمه): امتص جميع ما فيه، فسميت مكة؛ لاجتذابها الناس من كل أقر، وقيل: لقللة مائها، فكانوا يمتكون الماء فيها من الآبار وخاصة زمزم، انظر المعجم الاشتقاقي (2099/4)، والتفسير البسيط للواحيدي (439/5).

³ تفسير الطبري (13553).

⁴ أي جُدد بناؤه زمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

⁵ رواه ابن أبي شيبه (14103) بسند صحيح، ونحوه عن الضحاك (14104).

⁶ سورة المائدة (97).

بيده لو تركوه عامًا واحدًا ما نوظروا)¹ وفي لفظ: (لو ترك الناس كلهم الحج لوقعت السماء على الأرض)².

وكيف إذا اجتمع حب الأم مع حب أعظم شأنًا؟! ألا وهو حب الله تعالى لها، ها هو رسول الله ﷺ يحبها حبًا شديدًا وما خرج منها إلا مكرهاً، فنظر إليها نظرة مودع لحبيبه فقال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت"³.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لم ينس حبها، فقال: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد"، وإنما يشبه الفرع بالأصل، شرفها الله تعالى في كتابه فأقسم بما ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾⁴، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾⁵.

اختارها الله تعالى ليكون بها بيته الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾⁶، عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

¹ أخبار مكة للفاكهي (852)

² جلاء الأفهام لابن القيم (312).

³ رواه الترمذي (3925) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (3108)، وأحمد (18715).

⁴ سورة البلد (1).

⁵ سورة التين (3).

⁶ سورة آل عمران (96).

"قلت يا رسول الله أي مسجد في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟، قال: أربعون سنة"¹.. فحججه الأنبياء آدم ومن بعده عليهم الصلاة والسلام².

وتأمل كيف جعله الله هدى للعالمين، وكأنه ينطق بتوحيد الله تعالى، فالكعبة معلم التوحيد، ومشهد التجريد على الأرض، وكل عاقل لو تفكر في السرّ من طواف آلاف البشر حوله ليلاً ونهاراً بما لا مثيل له على وجه الأرض لهداه البيت إلى رب البيت عز وجلّ.

هياً الله فيه أسباب عبوديته فجعله حرماً آمناً ورزق أهله من الثمرات ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾³، وماذا يريد الإنسان إذا وجد غذاء روحه وبدنه بالأمن والرزق؟ ولهذا دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأهلها بهاتين النعمتين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾⁴.

¹ رواه البخاري (3366)، ومسلم (520).

² انظر تفسير الطبري (58/2).

³ سورة قريش (3-4).

⁴ سورة البقرة (126).

قرية بواد غير ذي زرع تحيط بها الجبال من كل جانب فهي مظنة للمجاعة ولكن الله رزق أهلها وبارك فيها ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾¹، وسقى أهلها ماءً مباركاً لا نظير له يتمنى الناس قطرات منه، يقول النبي ﷺ في ماء زمزم: "إنها مباركة، إنها طعام طعم"².

قرية محفوظة محروسة بحفظ الله وأمنه³، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إن الله حرّم مكة، فلم تحلّ لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلّت لي ساعة من نهار، لا يخطئى خلاها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُنقّر صيدها، ولا تُلقت لقطتها، إلا لمعرف"⁴، وعن أبي شريح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا"⁵، بل من همّ في فيها بسوء عذبه الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرِدْ فِيهِ بِالْجَدِ يُظْلَمِ نُدْقُهُ مِّن

¹ سورة القصص (57).

² رواه مسلم (2473).

³ ولهذا من أسمائها (بكة)، وأصل كلمة (بك) ضغط بقوة يؤدي إلى تداخل جرم الشيء، فسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا أرادوها بسوء، أو لتبأك الطائفين عند البيت، أي: ازدحامهم، المعجم الاشتقاقي (159/1).

⁴ رواه البخاري (1833).

⁵ رواه البخاري (104)، ومسلم (1354).

عَدَابٍ أَلِيمٍ¹ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ في الحرم..."²، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لو أن رجلاً همّ فيه بالحداد وهو بعدن أبين، لأذقه الله عز وجلّ عذاباً أليماً)، فإياك ومعصية الله وأنت في حرم الله! حتى قال عمر رضي الله عنه: (احتكار الطعام بمكة؛ إحداد)³.. أراد أصحاب الفيل أن ينتهكوا حرمتها فجعلهم الله تعالى عبرة إلى يوم الدين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾⁴، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطره الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها"⁵، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم"⁶.

¹ سورة الحج (25).

² رواه البخاري (6882).

³ الفاكهي في أخبار مكة (1776).

⁴ سورة الفيل (1-5).

⁵ رواه البخاري (1881)، ومسلم (2943).

⁶ رواه البخاري (2118).

وإذا كانت مباركة فيما يعين على العبادة من الأمن والرزق، فكيف ببركة العبادة نفسها فيها؟! عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "...وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه"¹، كأننا نعيش أعوامًا طويلة في عبادة الله ببركة الصلاة في المسجد الحرام فعشر صلوات بمليون صلاة! والله يضاعف لمن يشاء! فاحرص على الصلاة في المسجد الحرام فهي فرصة عمرك وزاد حسناتك.

ويجتمع في الحرمين عباد الله المؤمنون الصالحون من كل مكان ويعمرونهما بعبادة الله وذكره، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها"²، وعبادة الله والأنس بقربه عند بيته هي جنة الدنيا الحقيقية، يقول الله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾³ ثم قال بعدها مباشرة: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾⁴ فكأنها إشارة لطيفة إلى أنها جنة الدنيا!

¹ رواه ابن ماجه (1406)، وأحمد (14694).

² رواه مسلم (146)، وانظر شرح الحديث في فضل المدينة كما سيأتي.

³ سورة الفجر (30).

⁴ سورة البلد (1).

رب لك الحمد.. كم يشعر القلب بلذة القرب وهو بجوار بيت الله
 في حرم الله.. في أحب بلد إلى الله.. عش أيام القرب في صلاتك
 وطوافك وذكرك.. في خطواتك ونظراتك وكلماتك.. في تعاملاتك
 وأكلك ونومك.. فاللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك..
 زدني إيماناً و يقيناً.. ومحبة وخشية حتى أعبدك كأني أراك..

❖ فضل الحج والعمرة:

خرج عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى مكة فأنشد :

بغض الحياة وخوف الله أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمناً
 إني وزنت الذي يبقى ليعدله ... ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا¹
 ربّ لك الحمد.. ما أعظمها من أجور ورحمات لا يعدلها شيء من
 متاع الدنيا.. تزيد في الرغبة، وتُعظم المحبة، وتمسح المشقة، وتقوي العزيمة،
 فأصغ إليها بقلبك قبل سمعك..

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "العمرة إلى
 العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"².

¹ السير (394/8).

² رواه البخاري (1773)، ومسلم (1349).

2. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة"¹.. والإنسان إنما يخاف من الفقر في الدنيا، ومن الذنوب في الآخرة، فالحج يصلح لك دنياك وآخرتك، وكما افتقرت إلى الله في الحج ورجوت رحمته أغناك وغفر لك..
3. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه"²، وقال النبي ﷺ لعمر بن العاص رضي الله عنه لما أسلم: "أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله... وأن الحج يهدم ما كان قبله"³.
4. عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله: حج مبرور"⁴، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "جهاد الكبير والصغير والضعيف الحج"⁵.

¹ رواه الترمذي (810)، والنسائي (2631).

² رواه البخاري (1521)، ومسلم (1350).

³ رواه مسلم (121).

⁴ رواه البخاري (1861).

⁵ رواه النسائي (2626).

5. عن ماعز رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه سُئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها"¹.

6. عن كعب رحمه الله قال: كعب رحمه الله: (الحجاج والعُمّار وفد الله، سألو فأعطوا، ودعوا فأجيبوا)².

7. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسَلَّمَا ثم قالَا: يا رسول الله جئنا نسألك فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت، فقالَا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفى للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: جئتي تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، ووقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك وما لك فيه، وعن حلقك رأسك وما لك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك وما لك فيه مع الإفاضة، فقال: والذي بعثك بالحق عن

¹ رواه أحمد (19010).

² تقدم.

هذا جئت أسألك! فأخبرهما بفضائل أعمال الحج على التفصيل¹، وستأتي قريباً مع كل نسك.

❖ فراق الأهل:

"أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه"²، فيقولون: "نستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك"³، "زودك الله بالتقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنت"⁴، أودعكم اليوم مختاراً، وغداً سينتزعني

¹ ورد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البزار (6177) وقال: (قد روي عن النبي ﷺ من وجوه، ولا نعلم له طريقاً أحسن من هذا الطريق) وفيه يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي (صدوق ربما أخطأ)، وقال أبو حاتم: شيخ لا أرى في حديثه إنكاراً، يروي عن عبيدة بن الأسود أحاديث غرائب، (تهذيب الكمال وحواشيه: 439/31)، وروايته هنا عن عبيدة بن الأسود.

وورد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط (2320)، وقال: (لا يروى هذا الحديث عن عبادة إلا بهذا الإسناد، تفرد به يحيى بن أبي الحجاج)، ويحيى بن أبي الحجاج الأهمشي، قال فيه ابن معين والنسائي: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ، وفي التقريب: لين الحديث (تهذيب الكمال وحواشيه: 263/31)، وهو يروي عن عيسى بن سنان، ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة، وقال الذهبي: هو ممن يكتب حديثه على لینه، وفي التقريب: لين الحديث (تهذيب الكمال وحواشيه: 606/22)، وللحديث شواهد أخرى ضعيفة، وقال الألباني رحمه الله عن الحديثين: حسن لغيره (صحيح الترغيب والترهيب: 1112، 1113) ويتساهل في ما ورد في فضائل الأعمال، والله أعلم.

² رواه ابن ماجه (2825)، والنسائي في الكبرى (10269)، وأحمد (8694).

³ رواه أبو داود (2600)، والترمذي (3743)، والنسائي في الكبرى (8754)، وابن ماجه (2825)، وأحمد (4524).

⁴ رواه الترمذي (3444) وقال: حسن غريب، والبزار (6933) وقال: هذا الحديث لا نعلم رواه عن ثابت إلا جعفر يعني ابن سليمان.

ملك الموت من بينكم مكرهاً؛ فهذه حجة مودعٍ.. لعله آخر لقاء في الدنيا، نسأل الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.. خرج بُهيم العجلي رحمه الله مع رفقته إلى الحج فبكى فقبل: لعله ذكر عياله، فقال: (يا أخي ما هو ذاك، وما هو إلا أني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة)¹.

ومع لوعة الفراق أشعر بلذة التوحيد.. ربّ تركت أهلي وولدي وبلدي ومالي، بل في الحقيقة ما تركت شيئاً؛ لأن كل ما سواك فليس بشيء، وإني وافد عليك.. زائر بيتك، ومن وجد الله فماذا فقد؟ ومن فقد الله فماذا وجد؟ ترك خليل الرحمن أهله ووطنه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِين﴾².

﴿خير الزاد التقوى﴾:

جهزت زادي من لباس ومتاع، فهل جهزت زادي للآخرة؟ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾³، هل تبثُ إلى الله ﷻ؟ هل جهزت قلبي للوفود على ربي ﷻ؟ شقّ صدر النبي ﷺ وغُسل قلبه بماء زمزم وملى حكمةً وإيماناً قبل أن يُعرج به إلى السماوات العُلا؛ لمناجاة ربه تبارك وتعالى.

¹ مثير الغرام (84).

² سورة الصافات (99).

³ سورة البقرة (197).

هل تحللتُ من مظالم الناس؟ هل تركتُ الربا؟ هل نفقتي من كسب حلال؟ فالنبي ﷺ يقول: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب له؟!"¹، فكيف تريد أن يرق قلبك، ويُسمع دعاؤك، وما طيبت نفقتك؟

هل تعلمت سنة رسول الله ﷺ وهديه في الحج؟ قال رسول الله ﷺ: "لتأخذوا مناسككم"² فالشأن كل الشأن أن تعبد الله تعالى كما يحب الله، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾³، ويقول النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"⁴، فلن تنال الإحسان في حجك ورضوان ربك إلا باتباع سنة نبيك ﷺ.

هل تفكرت في مقاصد الحج وحقائقه؟ يحرص أكثر الحجاج على أداء المناسك ظاهراً، وربما لا يقفون مع حكمها ومقاصدها باطناً، فيفوتهم حظ

¹ رواه مسلم (1015).

² رواه مسلم (1297).

³ سورة آل عمران (31).

⁴ رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718).

وافر من الخشوع فيها.. قف أيها القلب مع كل نسك.. تفكر وتذكر..
تقرب وتلذذ.. فالعبرة بما يقوم في القلب من خشوع وعبودية، وربما سبق
السائر بقلبه السائر ببدنه، والقلب لا يأتي به إلا الله ﷻ، فاللهم يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك.

رب تجردت إليك ووفدت عليك.. فإذا بالحج يقطع كل التفاتة إلى
غير الله تعالى.. فأرتقي إلى مقصودي "أن تعبد الله كأنك تراه".. يقول
النبي ﷺ: "لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم
يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه"¹، فما ظنك بالوفادة عليه سبحانه..
وكلما كثر الالتفات عظم الفوات.. فاجمع قلبك على ربك والهج
بذكرة.. ولا بد أن تُبتلى بشهوة أو غضبة أو نظرة أو كلمة أو لغو..
ولكن يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾².

وإذا ركبت الطائرة أو السيارة.. قلت بقلب خاشع: "الله أكبر.. الله
أكبر.. الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى
ربنا لمنقلبون، اللهم إن نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل
ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت

¹ رواه أبو داود (909)، والنسائي (1195)، وأحمد (21508).

² انظر الوفاة لتوفيق الرفاعي (26).

الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إن نعوذ بك من وعشاء السفر وكتابة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل"¹.

وكلما ارتفعت قلت: الله أكبر.. الله أكبر، مستشعرًا علوه وعظمته ﷺ، فمهما علوت فالله أعلى وأكبر.. وكلما نزلت إلى السُّفل قلت: سبحان الله.. سبحان الله، تنزيهًا وتعظيمًا لله العلي الأعلى ﷺ.

ربِّ ما أكرمك! .. يقول النبي ﷺ: "إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَوَمُّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، لَا تَضَعُ نَاقَتَكَ خَفًّا وَلَا تَرْفَعُهُ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْكَ خَطِيئَةً"².

ربِّ سبحانك.. كيف أسكت عن ذكرك والشوق إليك أخرجني إلى حج بيتك؟ يقول ابن أبي مليكة: (سافرت مع ابن عباس رضي الله عنهما من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة فكان يقوم شطر الليل)³، ويقول ضمرة بن ربعة: (حججنا مع الأوزاعي رحمه الله سنة خمسين ومئة، فما رأيته مضطجعًا في الحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم استند إلى القُتَب)⁴، وعن واصل بن سُليم قال: (صاحبت عطاء بن السائب

¹ رواه مسلم (1342).

² حديث فضائل الحج المتقدم.

³ حلية الأولياء (327/1).

⁴ السير (119/7).

إلى مكة، فكان يَحْتَم القرآن في كل ليلتين¹، وكان محمد بن واسع رحمه الله يصلي في طريق الحج طول الليل في محله، ويأمر خادمه أن يرفع صوته ليشغل الناس عنه²، وحج مسروق رحمه الله فما نام إلا ساجدًا على وجهه³، وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: (كان يعجبهم إذا قدموا مكة ألا يخرجوا حتى يَحْتَموا القرآن)⁴.

رَبِّ ذِكْرِكَ هُوَ رُوْحِي وَحِصْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ فِي حَجِّي، قال مجاهد رحمه الله: (ما من رفقة تخرج إلى مكة، إلا جهز معهم إبليس مثلَ عِدَّتِهِمْ)⁵.

أتشرف بخدمة وفد الله تعالى في حجهم إجلالاً لله ورحمةً بعباد الله، سئل رسول الله ﷺ: ما بُرُّ الحج؟ قال: "إطعام الطعام، وطيب الكلام"⁶، ويقول مجاهد رحمه الله: (صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني)⁷ ولا أجادل ولا أنازع ولا أعاتب، بل أكون متواضعًا سمحًا لينًا،

¹ التهجد لابن أبي الدنيا (368).

² لطائف المعارف (87).

³ حلية الأولياء (95/2).

⁴ مثير العزم الساكن (331).

⁵ رواه ابن المنذر، الدر المنثور (426/3).

⁶ رواه أحمد (7354)، (14482).

⁷ السير (452/4).

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾¹.

✪ غسل الإحرام:

ربِّ.. لما كان القدم عليك عظيمًا كانت البداية هنا عظيمة، فلم تكن بالوضوء، وإنما كانت بالغسل، فهذه جوارحي تعظمك باتباع السنة فأغتسل كما اغتسل النبي ﷺ وقد قال: "خذوا عني مناسككم" وهذا قلبي يناجيك بالتعظيم والإجلال.

ربِّ.. إذا طمع الوافدون بالمغفرة في عرفات والنهيات، فأرجو منك أن تجعل هذا الغسل في البدايات غاسلاً للذنوب والسيئات.. رب ذكرت -والماء البارد ينصب على رأسي- أهل النار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾² يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ³، فاللهم حرِّم بشرتي على النار.. رب واخوفاه من ذلك اليوم الذي أُغسَل فيه ولا أغتسل، ويهراق عليّ الماء ولا أتحرك، فاللهم سلِّم سلِّم³.

¹ سورة البقرة (197).

² سورة الحج (19-20).

³ انظر الوفاة (113)، وما بعدها.

الطيب: ﴿٥﴾

رَبِّ.. أَطِيبِ إِجْلَالًا لَكَ فَإِنَّمَا أَنَا وَافِدٌ عَلَيْكَ.. رَبِّ غَدًّا إِذَا خَرَجْتَ إِلَيْكَ رُوْحِي فَأَرْجُو أَنْ تَجْعَلَهَا رُوْحًا طَيِّبَةً مَطْمَئِنَّةً، وَأَنْ تَحْمِلَهَا مَلَائِكَتِكَ فِي الْكُفْنِ الطَّيِّبِ مِنَ الْجَنَّةِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ رِيحِ مَسْكِ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^١ فَرُوْحٌ وَرِيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ^٢.

لباس الإحرام: ﴿٥﴾

رَبِّ.. أَلْبَسْ لِبَاسَ الْمَوْتَى.. إِزَارًا وَرِدَاءً أَيْضِينَ^٢.. أَشْعُرُ بِأَنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ وَالْأَمْرَ عَصِيبٌ.. غَدًّا سَأُكْفَنُ فِي مِثْلِ لِبَاسِي هَذَا.. غَدًّا سَأُوضَعُ فِي قَبْرِي وَيَنْقَطِعُ عَمَلِي.. وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرِ فَبَكِيَ حَتَّى بَلَ الثَّرَى بِدَمَوَعِهِ وَقَالَ: "يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعْدُوا"^٣.. رَبِّ.. كَأَنِّي مَيِّتٌ حَقِيقَةٌ قَدْ خَرَجْتُ مِنْ قَبْرِي بِكَفْنِي.. تَيَقَّنْتَ بِالْمَوْتِ وَسُكْرَتِهِ وَالْقَبْرِ وَفَتْنَتِهِ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ تَكُونَ أَمْنِيَّتِي فِي حَيَاتِي وَفِي حَجْجِي؟

انقبضت نفسي من الدنيا وأقبلت على الآخرة، فأنفاسي كلها ذِكْرٌ وتلبية، فهذه حجة مودع.. لعلها آخر حجة.. آخر وقوف بعرفة.. آخر

¹ سورة الواقعة (88-89).

² والمرأة تُكْفَنُ فِي خَمْسَةِ أَثْوَابٍ وَلَا تَلْبَسُ النِّقَابَ وَالْقَفَازِينَ، كَالْحَرَمَةِ.

³ رواه ابن ماجه (4195)، فيه محمد بن مالك الجوزجاني وهو ضعيف.

تلبية.. آخر طواف.. آخر سعي.. كأني برسول الله ينادي "لتأخذوا مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"¹، ومرّ أبو هريرة رضي الله عنه على قبر دُفِن حديثًا فقال: (ركعتان خفيفتان مما تحقرون، أحبّ إليه من بقية دنياكم)².

هذا لباس الزهد واليقين.. لا حاجة لي بأطياب المطعومات والمشروبات وألوانها، ولا بأحاديث الدنيا وشغلها، ولا بمظهر أنيق ولا فراش رفيع.. حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة خِلقة، تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي³، وحج عمر رضي الله عنه فما أنفق إلا خمسة عشر دينارًا⁴.

ربِّ لك الحمد.. ألبستني لباس التقوى والإحسان ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾⁵، يشعر القلب أنه في عالم جديد.. عالم عُلوِّي رفيع.. لباس يلازمي

¹ رواه مسلم (1297).

² ابن أبي شيبة (7633)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط مرفوعًا (920)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبي مالك إلا حفص بن غياث، تفرد به حفص بن عبد الله، وقال ابن صاعد: هذا حديث غريب حسن، (الزهد لابن المبارك: 31).

³ رواه ابن ماجه (2890)، وفيه الربيع بن صبيح وشيخه يزيد بن أبان الرقاشي وهما ضعيفان، وأصل الحديث رواه البخاري (1517) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته. والزاملة هي البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، والمراد أن ذلك كان محمولًا معه على راحلته وهذا من تواضعه (فتح الباري 3/381).

⁴ السير (263/7).

⁵ سورة الأعراف (26).

في عبادتي ومشيتي وأكلي ومخالطتي ونومي.. فاللهم ألبس قلبي نور القرب
والهدى حتى أعبدك كأني أراك..

❖ الإحرام من الميقات:

ربِّ.. سبحانك ما أعظمك! وما أعظم بيتك! أحرّم من الميقات.. من
مسافة بعيدة عن البيت؛ تعظيمًا لبيتك الحرام، وتهيئة للقلب، فيخشع
بالتلبية المستمرة حتى أصل إلى بيتك.

ربِّ.. حان الموعد لأن أكون من وفدك.. لأن ألي دعوتك حقيقة،
فأصلي صلاة¹ خاشعة توقظ قلبي، ثم أستقبل بيتك ويتوجه قلبي إليك
وحدك، فأعلن إجابتي مشتاقًا خاشعًا، فأقول كأني أراك: "البيك
عمرة"²، "اللهم محلي حيث حبستني"³، الأمر جليل أتدري من تخاطب؟

¹ يستحب أن يُحرم الحاج أو المعتمر دبر الصلاة المفروضة، فإن لم يحضر وقتها صلى ركعتي الإحرام، وهي مستحبة عند المذاهب الأربعة، وجمع من السلف (المغني 259/3).

² هذا للمعتمر أو المتمتع، أو تقول: (لبيك حجًا) للمفرد، أو (لبيك حجًا وعمرة) للقارن.

³ الا شتراط مستحب عند الشافعية والحنابلة لما في البخاري (5089) ومسلم (1207) عن ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها أنها كانت وجعة فقال لها رسول الله ﷺ: "حجي واشترطي وقولي: اللهم محلي حيث حبستني" وفائدته أن المحرم يجوز له أن يتحلل إذا طرأ عليه عذر ولا يكون عليه شيء.

وأما حديث: "اللهم هذه عمرة لا رياء فيها ولا سمعة" فقد رواه ابن ماجه (2890) من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: الربيع بن صبيح وشيخه يزيد بن أبان الرقاشي وهما ضعيفان، ورواه البزار (7343) قال: وجدت في كتابي عن عمرو بن مالك عن يزيد بن زريع عن هشام عن عذرة بن ثابت عن ثمامة عن أنس به وقال: (لا تعلم رواه إلا يزيد بن زريع عن هشام صاحب الدستوائي)، وعمرو بن مالك شيخ البزار هو الراسبي البصري، ترك أبو حاتم وأبو زرعة حديثه، وقال ابن حبان: يغرب ويخطئ، وقال ابن

أتدري من تجيب؟ حج علي بن الحسين رحمه الله فلما أحرم وأراد أن يليه اصفر لونه وارتعد¹.

كأني برسول الله ﷺ قد لي وأصحابه رضي الله عنهم حوله يليون، يقول جابر رضي الله عنه: "فنظرت إلى مدّ بصري بين يديه من راكبٍ وماشٍ مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من

عدي: منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث، (تهديب الكمال وحواشيه: 207/22) فلا يلتفت إلى رواية البزار والعمدة على رواية البخاري (1517) قال: ثنا محمد بن أبي بكر ثنا يزيد بن زريع ثنا عزرة بن ثابت عن ثمامة عن أنس به واقتصر فيه على أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته، ولم يذكر الدعاء.

وأما طريق المختارة للضياء (1705) فيرويه عليل بن أحمد عن أبيه أحمد بن يزيد بن عليل عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس به، وفيه أحمد بن يزيد بن عليل، قال الألباني رحمه الله: (لم أجد له ترجمة سوى ما ذكره شارح القاموس "ع ل ل" أنه من شيوخ ابن خزيمة) الصحيحة (228/6) فيخشى من جهالته، لا سيما أنه يروي عن أسد بن موسى، وقد قال فيه ابن يونس: حدث بأحاديث منكورة وهو ثقة فأحسب أن الآفة من غيره (تهديب الكمال وحواشيه: 514/2)، ومما يضعف هذا الطريق، أن الحديث - كما تقدم - أصله في البخاري عن أنس بدون زيادة الدعاء.

ورواه الطبراني في الأوسط (1378) من حديث ابن عباس وقال: (لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا محمد بن يزيد تفرد به ابن بزة)، وقال أبو حاتم في علله (856): (هذا حديث باطل، ليس هو من حديث ابن جريج)، فالظاهر أن زيادة الدعاء لا تتقوى والله أعلم.

¹ مثير الغرام (164).

شيء عملنا به¹ فاجعل هدي النبي ﷺ بين عينيك في كل نسك، فتحج
وكأنك مع رسول الله ﷺ.

كأني برسول الله مرتدياً ... ملابس الطهر بين الناس كالقمر
مُلبياً رافعاً كفيه في وجلٍ ... لله في ثوب أواب ومفتقرٍ
أتى ينادي خذوا عني مناسككم ... لعل هذا ختام العهد والعمرِ
تأمل الموقف الأسمى فما نظرت ... عيناه إلا لأمواج من البشرِ
فينحني شاكرًا لله مِنَّنَه ... وفضله من تمام الدين والظفر
يا ليتني كنت بين القوم إذا حضروا ... مُتَمِّع القلب والأسماع والبصرِ
فأنبري لرسول الله أَلثمه ... على جبين نقي طاهر نضرِ
أقبل الكف، كف الجود كم بذلت ... سحَاء بالخير مثل السلسل الهدرِ
أُسْرُ بالمشي ولو طال المسير بنا ... وما انقضى من لقاء المصطفى وطرِ
أما الرداء الذي حج الحبيب به ... ياليتَه كفن لي في دجى الحفرِ²

¹ رواه مسلم (1218).

² من قصيدة الزهراني، انظر كتاب زاد الحجيج للمحسي (141).

التلبية: ﴿

ربِّ.. أصبحت من وفدك بفضلك، فأنفاسي في ذكرك.. خطراتي في تعظيمك.. لبي رسول الله ﷺ فلزم تلبيته حتى وصل الحرم، ويقول بعض من صحب أنسًا رضي الله عنه: (لما أحرم أنس لم أقدر أن أكلمه، حتى حلّ من شدة إبقائه على إحرامه)¹، وكان شريح رحمه الله إذا أحرم كأنه حية صماء.²

ألي كما لبي رسول الله ﷺ "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"³.

¹ السير (401/3).

² السير (104/4).

³ رواه البخاري (1549)، ومسلم (1184).

- وروى أنه كان يقول: "لبيك إله الحق لبيك" رواه النسائي (2752)، وابن ماجه (2920) وأحمد (8497) وغيرهم من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبي هريرة به، وقال النسائي: (لا أعلم أحدًا أسند هذا عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز، رواه إسماعيل بن أمية عنه مرسلًا)، وقال البزار (8848): (لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الاسناد)، وسئل أبو حاتم في عله (812) عن اختلاف آخر فيعصم يرويه عن الأعرج عن أبي سلمة -هو ابن عبد الرحمن بن عوف- عن أبي هريرة وبعضهم يرويه كما تقدم بدون ذكر أبي سلمة فقال: (لا أدري غير أن الناس على حديث الأعرج أكثر -بدون ذكر أبي سلمة- ويزيد بن هارون ثقة -يعني وقد زاد في روايته ذكر أبي سلمة)، ولم يذكر إرساله فالله أعلم.

- وروى أنه كان يقول بعرفة: "لبيك اللهم لبيك، إنما الخير خير الآخرة" رواه ابن خزيمة (2831) والطبراني في الأوسط (5419) والحاكم (1707) من طريق جميل بن الحسن عن محبوب بن الحسن عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به، وقال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن داود بن أبي هند

ربّ.. هذه التلبية هي نَفْسِي في حَجِي.. وقد قال النبي ﷺ: "جاءني جبريل فقال: مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعار الحج"¹، وترجمها جابر رضي الله عنه بكلمة واحدة فقال: "فأهلّ رسول الله ﷺ بالتوحيد"²، تفكر فيها بقلب حاضر.

– (لبيك اللهم لبيك):

(لبيك اللهم لبيك) أشعر حقيقة أنك دعوتني وكأني أسمعك فأجيبك (لبيك)، وكلما قلت: (لبيك) أتيقن أنك تسمعني وتراني.
 (لبيك اللهم لبيك) أشعر بقربي منك، فالإلباب هو التقرب، والخطاب هنا مباشر (لبيك) كلها بضمير المخاطب لا الغائب، ولا ذكر فيها لنفسي، فلا أقول: لبيئُ لك أو أُلبي لك، بل أقول: (لبيك).
 (لبيك اللهم لبيك) إجابة بعد إجابة.. إجابة دائمة، فأنا مجيب لدعوتك.. مقيم على طاعتك.. يقال: (ألب بالمكان): لزمه وأقام فيه.

إلا محبوب بن الحسن)، وقال الدرقي في أطراف الغرائب (2513): (غريب من حديث داود عنه، تفرد به محبوب بن الحسن عنه ولا نعلم حدث به عنه غير جميل بن الحسن الجهضمي)، ومحبوب هو محمد بن الحسن بن هلال ولقبه محبوب قال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق فيه لين، (تهديب الكمال وحواشيه: 75/25)، فتفرده لا يحتمل لا سيما عن داود بن أبي هند فأين الحمادان وشعبة وابن جريج ويحيى الأنصاري ويحيى القطان وغيرهم من الأكابر - ممن روى عن داود- عن هذا الحديث!؟

¹ رواه ابن ماجه (2923) وأحمد (16557).

² رواه مسلم (1218).

(لييك اللهم لبيك) إجابة محب مشتاق للقائك.. وكلما لبيتُ ازدادت الحبة والشوق، يقال: (امرأة لبة): أي محبة لولدها.

(لييك اللهم لبيك) إجابة خالصة من قلبي، وكأنه الذي ينطق بها، يقال: (اللّب): الخالص.

(لييك اللهم لبيك) إجابة عبد خاضع ذليل، يقال: (فلان ملبّ بين يديك) أي: خاضع ذليل.

- (لبيك لا شريك لك لبيك): لا شريك لك في عبادتك، فلا معبود بحق إلا أنت.. لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.. ولا محبوب إلا أنت.. لا دنيا ولا شهوة ولا مال ولا سمعة ولا جاه.. وهذا توحيد العبادة.

- (إن الحمد والنعمة لك) كم أنعمت علينا ربنا! وكم أسأنا إليك! خلقتنا.. رزقتنا.. هديتنا.. علمتنا.. اخترتني فجعلتني من وفدك الكرام فلك الحمد والنعمة.. وهذا توحيد الأسماء والصفات.

- (والملك لا شريك لك) فكل شيء ملك لك.. بدني.. قلبي.. عيني.. لساني.. هذا الهواء.. هذا الماء.. هذا الطير.. هذه الجبال.. هذه الأرض.. هذه السماء.. هؤلاء الناس والحجيج والملوك والفقراء.. الرحمة.. الإيمان.. الخشوع.. كله ملك لله.. يعطي من يشاء فضلاً، ويمنع من يشاء عدلاً.. فأشعر بافتقار إلى ربي ومليكي ﷻ.. وهذا توحيد الربوبية، فتأمل كيف جمعت التلبية أركان التوحيد الثلاثة.

وباجتماع (الملك والنعمة) يعظمُ الشناء على الله ﷻ، فالمملك الذي لا يحسن إلى رعيته، لا يُحمد على ملكه، والمحسن إلى الناس إذا لم يكن له ملك ومال ربما لم ينتفع منه الناس، فالكمال باجتماعهما والله ﷻ هو الملك العظيم.. المحسن المنعم على عباده.. **وباجتماع الملك والنعمة يجتمع في قلبي الذل والمحبة وهما ركنا العبادة**، فكلما استشعرت ملكه ازدادت ذلاً وخضوعاً، وكلما استشعرت نعمه ازدادت محبة وشكراً.. وتأمل كيف أشار إلى هذين المعنيين ففصل بين الحمد والنعمة، وبين الملك بكلمة (لك).

أصرخ بالتلبية صراحاً اتباعاً لرسول الله ﷺ وأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وللصحابة الكرام رضي الله عنهم، أصرخ بثناً لشوق مشتعل وحب متصل¹.. أصرخ صراخ العبد الخائف الوجل.. يقول النبي ﷺ وهو في طريقه إلى مكة: "كأني أنظر إلى موسى ﷺ واضعاً إصبعيه في أذنيه، له جؤار إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي..."²، وعن أبي حازم قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا الروحاء حتى تُبَحَّ أصواتهم)³، وكلما أكثرت منها وصرخت بما كنت أحب إلى الله تعالى، وكان حجك أعظم عند الله، فالتلبية لها موقع عظيم عند الله تعالى، سئل النبي ﷺ أي

¹ انظر الوفاة (119)

² رواه مسلم (166).

³ رواه ابن أبي شيبة (1501)

الحج أفضل؟ قال: "العج والتج"¹، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما من ملبى يُلبى إلا لبي ما عن يمينه وشماله؛ من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا، عن يمينه وشماله"² الله أكبر.. هذه المخلوقات تليبي معي استجابة لنداء التوحيد؛ لأنها خلقت لتوحد الله تعالى.. هذه المخلوقات تليبي بتليبي، والدال على الخير كفاعله، فكم سيكتب لي من الأجور بالتلبية الواحدة؟ ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾³، وعن مرداس عن كعب رحمه الله قال: "ما أهلّ مهل ولا كبر مكبر إلا قيل: أبشر، قال مرداس: بماذا؟ قال: بالجنة"⁴.

¹ رواه الترمذي (824)، (3243)، وابن ماجه (2896) من حديث ابن عمر، وأبو يوسف في كتاب الآثار (459)، وأبو يعلى (5086) من حديث ابن مسعود، والترمذي (827)، وابن ماجه (2924) من حديث أبي بكر، وأحسنها سنناً حديث ابن مسعود، و(العج): رفع الصوت، و(التج): كثرة إراقة الدماء.

² رواه الترمذي (824)، وابن ماجه (2921).

³ سورة الإسراء (44).

⁴ رواه البيهقي، السنن الكبرى (10387)، وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة وهو منكر، رواه الطبراني في الأوسط (7779)، وقال: (لم يرو هذا الحديث عن زيد بن عمر بن عاصم إلا معتمر)، وزيد بن عمر ذكره الذهبي في الميزان وقال: (عن سهيل بن أبي صالح بخبر منكر) (3022)، ولم يزد ابن حجر في اللسان على ذلك، وروايته هنا عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، ولم أجد له حديثاً آخر، فالظاهر أنه هو الخبر المنكر الذي أشار إليه الذهبي، ثم رأيت الحديث في علل الدارقطني (1979) وذكر رواية زيد بن عمر ثم قال: (وخالفه سليمان بن بلال رواه عن سهيل عن أبيه عن مرداس عن كعب، وهو الصحيح)، وبذلك أعله البيهقي في السنن الكبرى (10387) فقال: (ورواه وهيب عن سهيل عن أبيه عن مرداس

رَبِّ المعاني الإيمانية والفتوحات الربانية في التلبية لا تنتهي "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، وكم سيرد على قلبي من المعاني والأنوار؟ فاللهم افتح على قلبي من رحمتك وأطافك حتى أعبدك كأني أراك.

◈ دخول مكة، ورؤية الكعبة:

رَبِّ دخلتُ حرمك فأمسك عن التلبية، فقد وصلت!! قد اقتربت من بيتك وحن اللقاء!! أقدم رجلي اليمنى عند دخول المسجد الحرام وأقول: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم"¹.. "اللهم افتح لي أبواب رحمتك"² رَبِّ من فتحت له أبواب رحمتك فقد فاز بكل خير، وإنما يتفاضل الناس في طوافهم وسعيهم وصلاتهم وحجهم بحسب نصيبهم من رحمتك..

عن كعب) وقال في شعب الإيمان: (وحدِيث وهيب أصح) (3808)، فكان زيدًا سلك الجادة فأخطأ في رفعه، والله أعلم.

¹ رواه أبو داود (466).

² رواه مسلم (713).

ووقع بصري على بيت الله.. القلب يخشع والعين تدمع.. أرفع يدي¹ وأناجي رب البيت: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام)².

ربِّ سبحانك.. وكأني أرى من وفدت عليه وقصدته بهذه الزيارة! كأني أسمع تحيته ﴿حَيْثُ هُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ﴾ فأقول: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام) اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك، يقول الإمام النووي رحمه الله: (... رؤية البيت تُشَوِّقُ إلى ربِّ البيت، وقد حكوا أن امرأة دخلت مكة، فجعلت تقول: أين بيت ربي؟ فقالوا: الآن ترينه، فلما لاح البيت، قيل لها: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه، فألصقت جبينها بجائط البيت، فما رُفعت إلا ميتة)³.

ربِّ لك الحمد ما أعظمها من نعمة بلّغني بيتك.. غمرتني برحمتك.. قربتني إليك.. يقول الشعبي رحمه الله: (أول ما تدخل مكة فإذا انتهيت إلى الحجر فاحمد الله على حسن تيسيره وبلاغه)⁴ واترك القلب يناجي ربه بما شاء منكسراً محبتاً.. مشتاقاً شاكراً.. كأنك تراه سبحانه.

¹ ثبت عن ابن عباس، رواه ابن أبي شيبة (2450).

² ثبت عن عمر، رواه البيهقي (9216)، وهذا يدل على عمق فهم عمر رضي الله عنه في عبادته.

³ المجموع (10/8).

⁴ رواه ابن أبي شيبة (15753).

﴿ متّع عينيك بالنظر إلى بيت الله: ﴾

عن طاوس ومجاهد وعطاء وعبد الرحمن بن الأسود رحمهم الله قالوا: (النظر إلى البيت عبادة)¹، وعن محمد بن علي رحمه الله قال: (حدّثت أنه من نظر إلى البيت تعظيمًا له ومعرفةً لحقه كتب له بها حسنة، ومحى عنه بها سيئة)²، وعن محمد بن المنكدر رحمه الله قال: (بلغني أن لكل نظرة تنظر إلى البيت حسنة)³.

ربّ سبحانك أرى بيتك في الدنيا ولا أراك! كم تشوقني النظرات إلى بيتك للقاءك.. اشتاق موسى عليه الصلاة والسلام لرؤيتك فتجلّيت للجبل فجعلته دكاً وخرّ موسى صقعاً.. سبحانك ما أعظمك.. تبت إليك!!

رب سبحانك.. لا تشبع العين من النظر إلى بيتك فكيف بلذة النظر إلى وجهك الكريم؟! متّع عينيك وقلبك بأجمل مشهد على وجه الأرض ما دمت مقيمًا بمكة! وهل هناك أجمل وأعظم من هذه الصورة؟ بيت الله تعالى يطوف حوله آلاف مؤلفة من عباد الله.. لا ينقطع طوافهم إلا وهم يصلون فيصفون صفوفًا دائرية متصلة حول البيت وكأنه طواف ساكن! مشهد تخشع له القلوب وتقشعر منه الجلود، فكان سبب إسلام بعض من نظر إليه من أعماق قلبه.

¹ رواه ابن أبي شيبة (14760)، وما بعده.

² رواه عبد الرزاق (9172).

³ رواه عبد الرزاق (9175).

كم من خطرات ترد على قلبي وأنا أنظر إلى بيت الله.. انظر.. ثم انظر..
 ثم انظر.. تشعر بحبة الله وقربه.. تشعر بعظمة الله وجلالته.. ربّ تسمع
 نجواهم وتعلم ما في قلوبهم.. سبحانك لا يخفى عليك شيء من أمرهم..
 ربّ ترى ذلهم وفقرهم، ترى انكسارهم وبكاءهم، تسمع تضرعهم وتعلم
 حاجاتهم.. ورحمتك أعظم مما يرجون.

وكأني بالبيت المعمور في السماء السابعة حذاء الكعبة.. سبعون ألف
 ملك يطوفون حوله ويصلون فيه كل يوم فإذا انصرفوا لم يعودوا إليه آخر ما
 عليهم¹ سبحانك ما أعظمك.. وما يغني طوافنا مع طواف ملائكتك
 المقربين؟ ما هي إلا محبتك ورحمتك! رفعتنا وقربتنا.

وكأني بخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مُسنِّدًا ظهره إلى البيت
 المعمور، فسلم عليه نبينا ﷺ فرد عليه وقال: (مرحبا بالابن الصالح والنبي
 الصالح)² بنى بيت الله في الأرض فقربه الله وأدناه وأسنده إلى بيته في
 السماء.. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

¹ رواه البخاري (3207)، ومسلم (162).

² المصدر السابق.

وكم صلى نبينا ﷺ بجوار هذا البيت ودعا إلى الله تعالى فأوذي وضرب
وخنق .. فصبر وصابر حتى فتح الله له ونصره وأعز دينه وكثر أتباعه إلى
يوم الدين.. ها هم يعمرون بيت الله بالطواف والصلاة.

ما أعظم جمعهم! ما أشد زحامهم! يموج بعضهم في بعض.. رجالاً
ونساءً.. صغاراً وكباراً.. أغنياء وفقراء.. غداً يجمع الله الأولين والآخرين
كالفراس المبتوث.. حفاة عراة غرلاً غير محتونين.. الأمر أشد من أن يهتمهم
شيء.. فاللهم رحمتك.. اللهم رحمتك.. اللهم رحمتك..

حقاً إن نظر العين إلى بيت الله بقلب متصل بالله لمن عبادات المحسنين
اليقطين.. عبادة يسيرة لا تكلفك إلا النظر، ودع القلب يطوف ببيت الله
ويتفكر في عظمة الله تعالى.. ربّ اجعل لي في كل نظرة إلى بيتك عبرة
توقظني وإيماناً يحركني وشوقاً يقربني ويوصلني.

﴿ الطواف بالبيت الحرام: ﴾

استلام الحجر الأسود

ربّ كم يثير هذا الحجر في القلب حيناً للوطن الأول.. الجنة.. يقول
النبي ﷺ: "نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن -وفي

رواية: من الثلج-¹ فسودته خطايا بني آدم² سبحان الله.. (في بقاءه أسود عبرة لمن له بصيرة، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد، فتأثيرها في القلب أشد)³ فاللهم اغفر لي.

أستلم الحجر قائلاً: "باسم الله، والله أكبر"⁴ يقول النبي ﷺ: "والله لبيعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق"⁵ وعن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقَبَلَهُ، وقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أي رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)⁶ فالله الله في اتباع السنة.

ربّ.. ما أجّلّها من بداية! (كل ملك إذا قدم عليه الوافد قَبَلَ يمينه، وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته)⁷ الله أكبر.. يكاد القلب يتصدع بل يطير شوقاً لربه ﷻ.. وكأني أقبل يمين من وفدت عليه، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إن هذ الركن يمين الله في

¹ رواه ابن خزيمة (2733).

² رواه الترمذي (877) وقال: حديث حسن صحيح.

³ من كلام المحب الطبري (فتح الباري 464/3).

⁴ التسمية ثبتت عن ابن عمر في الشوط الأول، رواه أحمد (4628).

⁵ رواه الترمذي (961) وقال: حديث حسن.

⁶ رواه البخاري (1610)، ومسلم (1270).

⁷ الفتح (464/3)، وفتاوى ابن تيمية (397/6).

الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه)¹، وعن سُويد بن غفلة قال: (رأيت عمر رضي الله عنه قبّل الحجر والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًا)².

(الله أكبر) هي باب الطواف كما أنها باب الصلاة (الله أكبر) أنت الملك الكبير المتعال وأنا عبدك الذليل، أدخل في مناجاتك عند بيتك دخول العبيد على الملوك (الله أكبر) من كل شيء، فلا يتعلق قلبي بغيرك.. وتتجدد معاني التكبير والخشوع مع كل تكبيرة في بداية كل شوط.

الطواف:

"الطواف بالبيت صلاة"³، فالطواف صلاة ومناجاة لله تعالى.. أشعر بلذة قربك.. كأني أراك فأنا عند بيتك.. أشعر بشعور لا يطيق اللسان أن يعبر عنه من الأنس بذكرك والشوق للقائك، يقول عروة بن الزبير: (خطبت إلى ابن عمر ابنته، ونحن في الطواف فسكت ولم يجبني بكلمة، ثم قال له ابن عمر: إنا ونحن في الطواف نتخايل الله بين أعيننا)⁴.

¹ مصنف عبد الرزاق (8920)، قال ابن تيمية رحمه الله: (قوله: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة لله، ولا هو نفس يمينه؛ لأنه قال: (في الأرض)، وقال: (فكأنما صافح الله)، ومعلوم أن المشبه ليس هو المشبه به)، (فتاوى ابن تيمية 44/3).

² رواه مسلم (1271)، حفيًا أي معتنياً.

³ ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه ابن أبي شيبة (12811)، واختلف في رفعه ووقفه عن ابن عباس وابن عمر، ورجح الدارقطني في العلل (3044) والبيهقي في السنن الكبرى (9304) وقفه.

⁴ السير (507/3).

أرأيت عبداً فقيراً جاء لبيت سيده، وقد لبس لباس الذل وحسر عن رأسه.. فجعل يطوف ببيت سيده شوطاً بعد شوط.. يثني على سيده ويسأله حاجته.. متضرعاً باكياً.. لا غنى له عن سيده طرفة عين.. يطوف بذكره ويفتح بذكره ويحتم بذكره.. فالطواف صورة جليلة من صور الذل والافتقار إلى الله تعالى، وكأن هذا المشي الدائري مشي الضال التائه حتى يهديه ربه، أو لعله مشي العبد الخائف الوجل المعترف بذنبه المنيب إلى ربه، بل هو مشي المحب المتيّم لمحبهه ﷺ، كان حكيم بن حزام رضي الله عنه يطوف بالبيت ويقول: (لا إله إلا الله، نعم الرب ونعم الإله، أحبه وأخشاه)¹، ويقول بعض الصالحين: (رأيت في الطواف غلاماً شاباً يبكي ويقول: واشوقاه لمن يراني ولا أراه)².

هذه حقيقة حالك وأنت في طوافك.. فتتقظ وتذكر، فرمما كان الإنسان في عمل عظيم وهو لا يشعر بحقيقته فتضيع بركته، يقول ابن أبي رواد رحمه الله: (كانوا يطوفون بالبيت خاشعين ذاكرين كأن على رؤوسهم الطير، يستبين لمن يراهم أنهم في نسك وعبادة)³.

أطوف وقلبي يطوف بعظمة الله وجلاله يشعر بقربه.. يتلذذ بمناجاته.. لا ألتفت يميناً وشمالاً.. لا يُشغلني النظر إلى أشكال الناس وأجناسهم أو

¹ المحبة لله لأبي إسحاق الحنظلي (136)

² رحلة الصديق (25).

³ منير الغرام (287).

أصوات الداعين أو مزاحمة الطائفين أو حديث الأصحاب يقول طاوس رحمه الله: (إني لأعدها غنيمة أطوف بالبيت أسبوعًا، ولا يكلمني أحد)¹، وعن عطاء رحمه الله قال: (طفت وراء ابن عمر وابن عباس فلم أسمع أحد منهما يتكلم في الطواف)².

سبحان من وسع سمعه كل شيء.. يطوف بالبيت الآلاف مؤلفة..

تسمع نجوانا وترى مكاننا وتعلم سرنا وعلا نيتنا.. لا تختلط عليك الأصوات ولا تختلف عليك اللغات.. لا يشغلك شأن عن شأن، وكل له درجته عندك.. فيا ترى أيهم أقرب عند الله؟ أيهم الأول؟ أترضين يا نفس أن تكوني في ذيل القائمة؟! اللهم أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

ربِّ سبحانك ما أعظمك.. كأني بحملة عرشك وهم من حول العرش يسبحون بحمدك.. كأني بالبيت المعمور في السماء السابعة بإزاء الكعبة وسبعون ألف ملك يعمرونه كل يوم بالطواف والصلاة، فإذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، سبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك.

¹ مصنف ابن أبي شيبة (12813).

² مصنف ابن أبي شيبة (12810).

كأنني برسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهم يرملون¹ إظهاراً لقوة المسلمين وإغاظةً للكافرين الذين قالوا: إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وهنتهم حمى يثرب.. فأشعر بعزة الإسلام وأهله، وكان المشركين يروني فأغيبهم وأذلهم، وعسى الله أن يأتي بالنصر القريب بإذنه.

وأختم كل شوط بما كان يدعو به رسول الله ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود "ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار"² رب أعظم حسنات الدنيا محبتك، وأعظم حسنات الآخرة رؤيتك جلّ جلالك، فسبحان من لا تطيب الدنيا إلا بذكره، ولا تطيب الآخرة إلا برويته.

ربّ لك الحمد ما أكرمك.. يقول النبي ﷺ: "من طاف بالبيت لم يرفع قدمًا ولم يضع قدمًا، إلا كتب الله له حسنة وحط عنه خطيئة ورفع له درجة"³، والله يضاعف لمن يشاء.. ويقول النبي ﷺ: "مسحُ الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطاً"⁴.

¹ الرمل مستحب للرجال فقط في الأشواط الثلاثة الأولى في طواف العمرة أو القدم، وقال ابن الأثير: رمل يرمل رملا ورملا إذا أسرع في المشي وهز منكبيه. النهاية (265/2).

² رواه أبو داود (1892)، وأحمد (15398).

³ رواه الترمذي (959) وقال: (حديث حسن).

⁴ المصدر السابق.

الملتزم: ﴿﴾

أقف بين الركن والباب، وألصق صدري ووجهي وذراعي ببيت الله¹..
 ربِّ لك الحمد أيُّ قُرْبٍ.. أي شوق.. أيُّ ذلِّ يشعر به القلب ههنا، وأيُّ
 إحسان يبلغه الوافد على ربه ههنا.. ربِّ ما لي إلا عفوك.. ما لي سواك..
 كأني متعلق بثياب من أذنت إليه فلا أفارق ذيله إلا بعفوه وكرمه.. رب
 كما قربتني بفضلك حتى ألصقتني ببيتك، فقرب قلبي إليك حتى أعبدك
 كأني أراك، وقربني إليك في الفردوس الأعلى حتى أنعم بقربك ولذة النظر
 إلى وجهك جلّ جلالك.. أيها العبد المقرب سل ما تشاء فأنت في محل
 القرب والدعاء².

﴿﴾ صلاة ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

كان النبي ﷺ إذا قضى طوافه نفذ إلى مقام إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام، فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾³، فجعل المقام بينه وبين
 البيت، وصلى ركعتين يقرأ فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا

¹ كما ورد عن بعض الصحابة والتابعين في مصنف ابن أبي شيبة من رقم (13778) وما بعده.

² إحياء علوم الدين (344/1) بتصرف.

³ سورة البقرة (125).

الْكَافِرُونَ»¹، ويقول النبي ﷺ: "وأما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل"².

رب سبحانك.. أمرتنا أن نتخذ مقام إبراهيم مصلى والذي فيه أثر قدميه! وكل حاج يتشوف ليرى أثر قدميه!! يا له من شرف وأي شرف! أي إنسان على وجه الأرض يتشوف الآلاف المؤلفة من الناس ليروا أثر قدميه!؟

إنهما قدمان مشتتا طويلاً لله، قامتا طويلاً لله، وقام عليهما في بناء بيت الله، إنها رفعة أهل التوحيد..

تأمل كيف نصلي خلف مقامه الذي فيه أثر قدميه؟ كأني أقتفي أثره وأسير في طريقه.. بل كأني بإبراهيم عليه السلام قائم أمامي، وهو إمام الحج "وإنما جعل الإمام ليؤتم به" فالصلاة خلف مقامه إشارة للاقتداء به، والاقتراء به إنما هو اقتداء بنبينا محمد ﷺ إمام المرسلين الذي سار على ملته حتى تشابها طريقةً وأثرًا.. خلُقًا وخُلُقًا.. وكأن أثر قدمي إبراهيم في المقام هو أثر قدمي نبينا محمد عليهما الصلاة والسلام! فقد استأجر المشركون كُرز بن علقمة الخزاعي لما خرج النبي ﷺ مهاجرًا، فقفى أثره حتى انتهى إلى غار ثور، فرأى نسج العنكبوت على باب الغار فقال: إلى هنا انتهى أثره ولا أدري أخذ يمينًا أو شمالًا أو صعد الجبل، وقال: (هذا

¹ رواه مسلم (1218).

² حديث فضائل الحج المتقدم.

القدم من تلك القدم التي في المقام)¹، ويقول النبي ﷺ: (ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم، يعني نفسه)².
 فما أعظمها من قدوة؟! أقتدي بأعظم من حقق عبودية الله وأحب رسولين عند الله تعالى، وما أجلها من أمانة؟! أمانة تحقيق التوحيد في الحياة كلها.. في كل عبادة.. في كل نسك في الحج.. في كل معاملة.. بل في كل حركة ونومة وأكلة وكلمة ونظرة وخطوة وخاطرة.. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾³.

وترسيحًا لهذا الاقتداء أقرأ سورتي الإخلاص: الكافرون والإخلاص، فأعلن بكل قوة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ هذا التوحيد العملي لله تعالى فلا أعبد ملكًا ولا نبيًا ولا وليًا.. ولا هوى ولا شهوة ولا مالا ولا امرأة ولا ولدا.. ولا سمعة ولا جاهًا ولا رياسة..
 وقمع الأنداد من القلوب شديد، فجاء التأكيد في سورة الكافرون فيخلص عمل القلب لله وحده ﷻ.

¹ الإصابة لابن حجر (436/5)

² رواه مسلم (167).

³ سورة الأنعام (161-163).

وأماً قلبي من الإيمان بعظمة الله وتفردِه وصمديته بسورة الإخلاص
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وهذا هو
التوحيد العلمي فيتنور القلب بمعرفة الله وجلاله.

استمع لدعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام وهو قائم على هذا المقام؛
تتكشف لك حقيقة معرفة الله ﷻ!.. فكأني بإسماعيل عليه الصلاة
والسلام (يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا
الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما
يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، فجعلنا بيننا حتى يدورا
حول البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)¹، عن
وهيب بن الورد أنه قرأ هذه الآية فجعل يبكي ويقول: (يا خليل الرحمن
ترفع قوائم بيت الرحمن، وأنت مشفق أن لا يتقبل منك)²، قلب عرف
قدر ربه تعالى فأشفق من عظمته وأخبت لجلالته فإن فاز بقبوله فقد بلغ
منتهى قصده ووصل إلى حقيقة معرفته.

¹ من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري (3364).

² رواه ابن أبي حاتم (1240).

ثم أرجع إلى الحجر أقبله¹ كالمشتاق المودع، ولا يشبع القلب من قربكم.. فقد كان النبي ﷺ حَفِيًّا به، أي: معتنياً به²، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يخرج من المسجد حتى يستلمه كان في طواف أو في غير طواف³.

🕌 السعي بين الصفا والمروة:

يقول جابر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا، يقول: "نبدأ بما بدأ الله به"⁴، وقال: "فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾"⁵.

كأنني بهاجر رضي الله عنها ورضيعها إسماعيل عليه الصلاة والسلام تحت دوحة هنالك عند البيت - ولما يُينَ بعد- وقد وضع إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم

¹ رواه مسلم من حديث جابر (1218) قال: (ثم رجع إلى الركن فاستلمه)، وروى أحمد من حديث جابر الشرب من زمزم بعد طواف القدوم ولكن الأقرب أنه شاذ، تفرد به موسى بن داود فخالف جمعاً من الثقات حيث ذكره بعد طواف الإفاضة، وموسى بن داود قال فيه أبو حاتم: شيخ في حديثه اضطراب، وفي التقريب: صدوق فقيه زاهد له أوهام (تهذيب الكمال وحواشيه: 60/29)، وما يدل على اضطرابه أنه ذكر الرجوع إلى الحجر الأسود بعد الطواف مرتين، ثم إن عامة العلماء يذكرون الشرب من زمزم بعد الإفاضة.

² رواه مسلم (1271).

³ رواه ابن أبي شيبه (13571)، وأخبار مكة للفلكهي (119).

⁴ رواه مسلم (1218)، وهو لفظ الموطأ (1311).

⁵ رواه مسلم (1218).

منطلقًا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾¹، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس قال النبي ﷺ: "فذلك سعي الناس بينهما" فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه! تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه

¹ سورة إبراهيم (37).

وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم -أو قال لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزم عيناً معيناً"، فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإنها هنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله¹.

رب.. كم يمتلئ القلب من رجائك واليقين بقدرتك والتوكل عليك والثقة بك وأنا أسعى كما سعت هاجر رضي الله عنها.. كأني بها وهي تسعى بين الصفا والمروة في صحراء موحشة ليس فيها إنس ولا شيء.. تسعى متدلة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وأنس وحشتها، فأنبع لها زمزم فشربت وأرضعت ولدها.. رب أنا عبدك الفقير الذليل.. عابر سبيل في صحراء الدنيا.. إن لم تغفر لي وترحمني هلكت فلا تكنني إلى نفسي طرفة عين.. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك.. كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سعي في بطن الوادي قال: (رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم)².

رب.. أسعى بين الصفا والمروة وحالي حال العبد الذي دخل على الملك ثم خرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك! فلا أزال أتردد في فناء بيتك مرة بعد أخرى وأنا خائف وجَل.. أرجو رحمتك وأخاف

¹ رواه البخاري (3364).

² رواه ابن أبي شيبه (15565).

من ذنوبي وغفلتي.. رب أنا عبدك عند بيتك وإذا خرجت إلى فناء بيتك فأنا عبدك، ومهما ابتعدت عن بيتك وحرمت فأنا عبدك في كل مكان وفي كل حال لا غنى لي عنك طرفة عين¹.

أقف على الصفا وأرى البيت، فأستقبله وأرفع يدي كما فعل رسول الله ﷺ، وأقول: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"²، ثم أدعو.. ثم أعيد التكبير والتهليل، ثم أدعو ثم أعيد الذكر، ثم أمشي إلى المروة وأفعل عليها كما فعلت على الصفا.

سبحان الله.. كأني برسول الله ﷺ على الصفا وحيدًا والمشركون حوله.. يصيح في قومه: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فسبّه أبو لهب فأنزل الله تعالى سورة المسد، وتمضي الأيام والأعوام.. وإذا برسول الله ﷺ يقف على الجبل نفسه ويصدع بالتوحيد، ويحمد الله على نصره وتحقق وعده.. يشعر القلب ببرد اليقين وعزة الدين والثقة بنصر الله رب العالمين.. وما هي إلا أيام وينجز الله وعده للأمة المسلمة وينصرها على أعدائها، ويظهر المسجد الأقصى من نجس اليهود وترتفع راية (لا إله إلا الله) في مشارق الأرض ومغاربها.

¹ إحياء علوم الدين، بتصرف (345/1).

² رواه مسلم (1218).

رَبِّ سُبْحَانَكَ مَا أَكْرَمَكَ.. يقول النبي ﷺ: "وأما طوافك بالصفاء والمروة كعتق سبعين رقبة"¹.

◈ الخلق أو التقصير:

يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾².

أرأيت السجين يخلق رأسه إظهاراً لذله.. رب أشعر بذل وخضوع وانكسار.. ناصيتي بين يديك.. الشعر يتساقط والدموع تنهمر والقلب يعبدك كأنه يراك.. رب أحلق زينتني على رأسي لا أبقى منها شيئاً تجرداً لك واتباعاً لرسولك ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم اغفر للمحلقين، قالوا يا رسول الله: وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا يا رسول الله: وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا يا رسول الله: وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا يا رسول الله: وللمقصرين"³، قال ابن حجر رحمه الله: (وفيه أن الخلق أبلغ من التقصير، ووجهه أنه أبلغ في

¹ حديث فضائل الحج المتقدم.

² سورة الفتح (27).

³ رواه البخاري (1728)، ومسلم (1302)، وعن ابن عمر في الصحيحين، بلفظ: "اللهم ارحم

المحلقين" البخاري (1727)، ومسلم (1301)

العبادة، وأبين للخضوع والذلة، وأدل على صدق النية، والذي يقصر يبقى على نفسه شيئاً مما يترين به بخلاف الخالق فإنه يشعر بأنه ترك ذلك لله تعالى... وفيه إشارة إلى التجرد، والله أعلم¹.

ما أجمله من ختام للعمرة! ختام بطابع الذل والعبودية على الرؤوس.. وكأني بك مولود جديد، رجعت من ذنبك كيوم ولدتك أمك، ومن سنة المولود إمطة الأذى عنه بحلق رأسه.. يقول النبي ﷺ: "وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، وتضع عنك بها خطيئة"²، ويقول النبي ﷺ: "وأما حلاقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض، إلا كانت لك نوراً يوم القيامة"³.

🏠 الذهاب إلى منى⁴ في اليوم الثامن - يوم التروية:-

"لما كان يوم التروية توجه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى منى، فأهلوا بالحج من البطحاء، وركب رسول الله ﷺ فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر"⁵.

¹ الفتح (564/3).

² حديث فضائل الحج المتقدم.

³ حديث فضائل الحج المتقدم.

⁴ سميت منى لأنه معنى أي يراق فيها دم الهدايا عند ذبحها.

⁵ حديث جابر.

أغتسل وأتطيب وألبس لباس الإحرام وأحرم¹، وألبي وأذهب إلى منى مليبًا.. منى بقعة مباركة.. مرّ بها جمع غفير من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًا²، يوم التروية.. يثير هذا الاسم شكر نعمة الله تعالى في قلبي! يقول ابن حجر رحمه الله: (وسمي التروية.. لأنهم كانوا يروّون فيها إبلهم، ويتروّون من الماء، لأن تلك الأماكن لم تكن إذ ذاك فيها آبار ولا عيون، وأما الآن فقد كثرت جدًّا واستغنوا عن حمل الماء)³، وفي زماننا توفرت فيها كل أسباب الراحة والأمن فما لنا إلا أن نلهج بشكر ربنا تبارك وتعالى وتلبيته، وجزى الله ولاة أمور هذه البلاد حرسها الله على ما يقدمونه من خدمة حجاج بيت الله.

سبحان الله تفكر في حقيقة الأمر.. الأمر جليل غدًا الموعد مع رب العالمين.. مع الرحمن الرحيم.. مع الملك العظيم.. ما أعظمه من لقاء! طالما انتظرتَه منذ عام وها هو قد قرب اليوم.

فكأنّ منى محل لانتظار الملك والتهيؤ له قبل الدخول عليه فالقلب خاشع وجَلّ.. ولا يزال الشوق يشتعل وأنفاسي كلها تلبية "ليبيك اللهم

¹ هذا للمتمتع، وأما القارن والمفرد فهما باقيان على إحرامهما.

² أخبار مكة للفياكهي (2603)، ومثله عن أبي هريرة رواه مسدد (المطالب العلية: 131)، وروي مرفوعًا عن ابن عباس، رواه الطبراني في الكبير (12283)، والأوسط (5407) والموقوف أصح، وله حكم الرفع، انظر فضائل مكة للنعبان (928).

³ الفتح (507/3).

ليبك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " تلبية منى لها طعم آخر.. إنها تلبية العبد المشتاق للقاء محبوبه ﷺ..
إنها تلبية العبد الخائف الخاشع، كيف سأنام ليلة صبيحتها عرفة وزوال
شمسها نزول رب العالمين؟!¹

يا من شكا شوقه من طول فرقه .. اصبر لعلك تلقى من تحب غدًا
وسر إليه بنار الشوق مجتهدًا .. عساك تلقى على نار الغرام هدى

إنها تلبية تغسل القلب وتُعيدَه للقاء العظيم.. فلن ألتفت إلى غير ربي
ﷺ.. وكلما كان الاستعداد عظيمًا كلما عظم اللقاء وحصل المقصود،
ومهما لبيتُ وتعبدت لله تعالى فلن أوفي حقه ﷺ فبأي وجه سألقاه؟!
سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك..

سبحان الله ما أشبه موعدنا بمنى بموعده موسى عليه الصلاة والسلام مع
ربه تعالى! الأيام هي الأيام، يقول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَثَمْنَا بِهَا بَعْثُرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي
قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾²، ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرُ إِلَى الْجَبَلِ

¹ انظر الوفادة (194).

² سورة الأعراف (142).

فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرُنِّي^١ فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُو لِجَبَلٍ جَعَلَهُو دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ^{١١٣} ﴿١﴾.

والعشر هنا هي العشر من ذي الحجة^٢، فجعل موسى عليه الصلاة والسلام يستعد للقاء ربه بالاجتهاد في ذكره وطاعته تلك الأيام، وقد حثنا نبينا ﷺ على الاجتهاد في هذه الأيام، فقال ﷺ: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني العشر من ذي الحجة - قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء"^٣، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: (أيام العشر)^٤.

ولما حان الموعد كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام وقربه إليه حتى اشتاق للقاءه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ﴾ أما يحق للوafd على ربه.. المنتعم بقربه عند بيته أن يشتاق ويقول: رَبِّ أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ يَوْمَ لِقَائِكَ.. رَبِّ مَا أَكْرَمَكَ.. أَبْقَيْتَ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدًا ﷺ أَعْظَمَ أَثَرًا لَدَيْكُمْ الْمِيقَاتِ فَتَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَتَفِيضُ عَلَيْنَا مِنْ رَحْمَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَتَبَاهِي بَنَاءَ أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ.

^١ سورة الأعراف (143).

^٢ رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ومسروق (86-87).

^٣ رواه البخاري (969)، وأبو داود (2438)، وهذا لفظه.

^٤ رواه البخاري تعليقا، في باب: (فضل العمل في أيام التشريق)

﴿ وطلع فجر عرفة: ﴾

سبحان الله.. كنا نلي فلما طلع فجر يوم عرفة اختلطت التلبية بالتكبير "الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر.. والله الحمد" جاء يوم اللقاء فيزداد القلب هيبه وتكبيراً لله ﷻ.. فأسير إلى عرفة بعد طلوع الشمس كما فعل رسول الله ﷺ مليئاً مكبراً.. خاشعاً مشتاقاً، يقول أنس رضي الله عنه: "كان يلي الملبى منا فلا ينكر عليه، ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه"¹، وقال إبراهيم: (كانوا يكبرون يوم عرفة وأحدهم مستقبل القبلة في دبر الصلاة: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد)².

﴿ الحج عرفة³: ﴾

ثم سار رسول الله ﷺ فنزل بنمرة⁴، ولعلها استراحة يسيرة للتقوي على الدعاء يوم عرفة، فاحفظ قوتك لدعاء عرفة بعد الظهرية، وقد لا يتيسر النزول بنمرة في زماننا ولكن أيقظ قلبك فإنما الأعمال بالنيات.. ولما زاغت

¹ رواه البخاري (970)، ومسلم (1285).

² رواه ابن أبي شيبة (5650).

³³ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن جبريل قال لإبراهيم - بعد أن أراه المناسك - هل عرفت؟ قال:

نعم، قال ابن عباس: فمن تمّ سميت عرفة) رواه أحمد (2707).

⁴ ليست من عرفة.

الشمس¹ أتى رسول الله ﷺ بطن وادي عرنة²، فخطب الناس خطبة جليلة، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف بعرفة فجعل بطن ناقته إلى الجبل، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وقال: "وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف"³.

سبحان الله.. كم حيرني سر عرفة؟! عرفة أعظم موقف في الحج، والنبي ﷺ يقول: "الحج عرفة" ومع ذلك هي الموقف الوحيد الذي في الحِل، وباقي المناسك كلها في الحرم!؟

تأمل.. رأيت عبداً فقيراً مسكيناً منكسراً.. واقفاً عند عتبة باب الملك.. يبكي ويتضرع رافعاً يديه حاسراً رأسه يطرق الباب يرجو أن يفتح له، والملك قد دعاه بل اختاره واصطفاه، ثم نزل الملك ودنا من عبيده.. يبشرهم بالقبول والغفران، ويباهي بهم جنوده العظام، هذه حقيقة عرفة.. فهل ترى موقفاً في الحج يظهر فيه كمال الذلّ والقرب مثل هذا؟! حقاً "الحج عرفة"، يقول سفيان الثوري رحمه الله: (قدمت إلى مكة فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله، لم تجعل الموقف من وراء الحرم؟ قال: الكعبة بيت الله عز وجل، والحرم حجابها، والموقف بابها، فإذا قصد الوافدون أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم

¹ أي دخل وقت الظهر.

² وليس من عرفة.

³ مختصر من حديث جابر.

بالدخول أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم، وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفتهم وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينهم وبينه أمرهم بزيارة بيته على طهارة...¹

رَبِّ عَيْدِكَ بَفَنَائِكَ.. فقيرك بفنائك.. مسكينك بفنائك.. رَبِّ سائل واقف ببابك.. انقضت أيامه وبقيت آثامه.. فاغفر لي وارحمني يا أرحم الراحمين.

أسير الخطايا عند بابك واقف... على وجل مما به أنت عارف يخاف ذنباً لم يغب عنك غيبها... ويرجوك فيها فهو راج وخائف ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي... ومالك في فصل القضاء مخالف لك الحمد ربنا ما أرحمك! يقول النبي ﷺ: "وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله ﷻ ينزل إلى الدنيا، فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم عدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له"².

¹ الطيوريات (244)، وجاء نحوه عن علي رضي الله عنه رواه البيهقي في شعب الإيمان (510/5).

² حديث فضائل الحج المتقدم.

ربّ ما أكرمك أنت الغني الحميد ونحن الفقراء إليك.. تنزل لأجلنا كما يليق بجلالك نزولاً عظيماً من زوال شمس عرفة إلى غروبها.. تقترب من الوافدين عليك رحمةً بعبادك وإكراماً لوفدك.. فسبحانك ربي ما أكرمك! أشعر بحياء يكسر قلبي وشوق للقائك يغمري.. والقرب اليوم له طعمه الخاص الذي لا مثيل له في أيام الدنيا! يقول ابن تيمية رحمه الله: (فإنه من المعلوم أن الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير به)¹ فاخلك بنفسك حتى تصفو لك حلاوة المناجاة.. عن عمرو بن الورد قال: قال لي عطاء: (إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل)².

أقف تحت أديم السماء بلا حجاب حتى أستشعر حلاوة القرب والذلّ لله تعالى.. أبصر ابن عمر رجلاً على بعيره وهو محرم قد استظل بينه وبين الشمس فقال له: "أضح لمن أحرمت له"³، وعن عبد المطلب بن عبد الله قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحون للشمس إذا أحرموا)⁴، وهكذا وقف النبي ﷺ، وانظر ما هو أخشع لقلبك فافعله.

¹ فتاوى ابن تيمية (374/5).

² حلية الأولياء (314/3).

³ رواه البيهقي (9192)، وإرواء الغليل (1016).

⁴ رواه ابن أبي شيبة (15057).

يقول النبي ﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة"¹.. وقف النبي ﷺ داعياً متضرعاً رافعاً يديه من الظهر إلى غروب الشمس، وجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ليتفرغ للدعاء، وأفطر يوم عرفة ليتقوى على الدعاء، فاليوم يوم الدعاء، فلا التفات إلى ما سواه بحول الله وقوته تعالى، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي ﷺ بعرفات، ورفع يديه فمالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى"².

فمن علم عظم فضل الله تعالى، واستأنس بلذة قربه خاف أن تفوته لحظة من حظه في مناجاة ربه تعالى..

ربِّ أدعوك كأني أراك.. كأني أسمعك تقول: "عبادي جاؤوني شعثاً غبراً، من كل فجٍ يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل لغفرتها" ربِّ ما أرحمك! ما أحلمك! ماذا بعد هذا الكرم والجود؟! ما لي إلا رجاؤك وحسن ظني بك، يقول ابن المبارك رحمه الله: (جئت إلى سفيان الثوري رحمه الله عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فالتفت إليّ فقلت له، من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن لا يغفر الله له)، وعن

¹ رواه الترمذي (3585) وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد ليس بالقوي عند أهل الحديث)، وله شواهد يتقوى بها انظر مسند أحمد تحقيق الأرنؤوط (6961).

² رواه النسائي (3011)، وأحمد (21821).

الفضيل رحمه الله أنه نظر إلى نشيج الناس وبكائهم عشية عرفة، فقال: (أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسأله دانقاً¹ أكان يردهم؟ قالو: لا، قال: والله للمغفرة عند الله، أهون من إجابة رجل لهم بدائق)².

ربِّ أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك تسمع كلامي، وترى مكاني وتعلم سري وعلايتي.. أدعوك دعاء الخائف الضير.. البائس الفقير.. المذنب الذليل.. وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير وبكر بن عبد الله بعرفة، فقال مطرف: (اللهم لا تردهم اليوم من أجلي)، وقال بكر: (ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أنني فيهم!)، ووقف الفضيل فبكى بكاء الثكلى المحترقة، فلما كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ورفع رأسه إلى السماء، وقال: (واسواتاه منك وإن عفوت)³.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء"⁴، فاللهم أجرني من النار.. اللهم أجرني من النار.. اللهم أعتق رقبتني من النار.

¹ يعني سلس درهم.

² لطائف المعارف (498).

³ لطائف المعارف (496).

⁴ رواه مسلم (1348).

رَبِّ أَرَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.. كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.. شَعْنًا
 غَيْرًا.. حَسَرُوا رُؤُوسَهُمْ.. لَبَسُوا أَكْفَانَهُمْ.. الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِمْ.. يَجَارُونَ
 إِلَى اللَّهِ ﷻ عَلَى اخْتِلَافٍ لِعَاثِهِمْ وَتَفَنَّنِ حَاجَاتِهِمْ.. كَأَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..
 يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ
 مُنْتَشِرٌ﴾¹ تفكر فيما أنت فيه فسترى مثله قريبًا، فماذا أعددت؟!
 سبحان الله.. أشعر في قلبي بحنين خاص لعرفة.. كيف لا وهي الموطن
 الأول الذي أخرج الله تعالى فيه ذرية آدم عليه الصلاة والسلام، وما
 الحب إلا للحبيب الأول؟! يقول النبي ﷺ: "أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق
 من ظهر آدم بنعمان²، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه
 كالذر، ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾³..
 رَبِّ جِئْتِكَ تَائِبًا مُسْتَسْلِمًا.. أجدد ميثاق التوحيد.. فأعظم ما أقول
 بعرفة كلمة التوحيد، يقول النبي ﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير
 ما قلت أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله
 الحمد وهو على كل شيء قدير"⁴، وفي لفظ: "كان أكثر دعاء رسول

¹ سورة القمر (7).

² يعني عرفة.

³ رواه أحمد (2455)، انظر الصحيحة (1623).

⁴ تقدم تخريجه.

الله ﷻ يوم عرفة¹، وعن أبي شعبة قال: (كنت بجنب ابن عمر بعرفة، وإن ركبتى لتمس ركبتة فما سمعته يزيد على هؤلاء الكلمات: لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) حتى أفاض من عرفة إلى جمع².

(لا إله إلا الله) تنبع من قلبي فتتخلل لحمي ودمي وعظمي وعصبي..
(لا إله إلا الله) تنبع من قلب يعيش لحظات القرب من الله تعالى.. قد امتألاً حباً وشوقاً للقاء الله تعالى.. فألهج بأحب الذكر عند الله ف (لا إله إلا الله).. (لا إله إلا الله) تحرق من القلب كل ما سوى الله.. فلا معبود بحق إلا الله ولا محبوب لذاته إلا الله.. (لا إله إلا الله) تنبع من قلب خائف وجل يرجو العتق من النار ف (لا إله إلا الله) أمان من النار.

وأستمر في التلبية والتكبير.. وهنا أشعر بطعم آخر للتلبية بعرفة.. إنها تلبية المتلذذ بقربه من ربه.. تلبية الموقن برحمته.. تلبية العبد الذليل الواقف على عتبة باب سيده.

وقبيل غروب شمس عرفة يعتصر القلب ويُسكب الدمع.. وأسفاه على دعاء عرفة.. وأسفاه على رحمتها وبركاتها.. وأسفاه على حلاوة القرب والإيمان.. ولعلها آخر وقفة فهذه حجة مودع فينقبض القلب ويزداد بكاء

¹ رواه أحمد (6961).

² رواه ابن أبي شيبة (15133).

وانكسارًا.. (لا أدع هذا الموقف ما وجدت إليه سبيلًا)¹.. لا أطيق فراقها لولا أنني عبد لله تعالى، متبع لرسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ يدفع من عرفه بعد غروب الشمس مخالفة للمشركين الذين كانوا يدفعون منها قبل الغروب².

ربّ.. خائف ينادي: الأمان الأمان.. الغفران الغفران.. وكأنّ قلبي يسمع البشرى من ربي "أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم له"، عن أنس رضي الله عنه قال: "وقف النبي ﷺ بعرفات وكادت الشمس أن تؤوب فقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ فأنصت الناس فقال: معاشر الناس أتاني جبريل آنفًا فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله ﷻ غفر لأهل عرفات وأهل المشعر، وضمن لهم التبعات، فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ﷺ هذا لنا خاصة؟ قال: هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة، فقال: كثر خير الله وطاب"³.

¹ من كلام علي رضي الله عنه، مثير الغرام (186).

² رواه الحاكم (3097)، والبيهقي (9521).

³ أخرجه المنذري عن ابن المبارك عن سفیان الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس رضي الله عنه، الترغيب والترهيب (1796) وصححه الألباني.

الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة، والمبيت بها:

"ودفع رسول الله ﷺ وعليه السكينة، ولما وصل مزدلفة صلى بها فجمع بين المغرب والعشاء، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر"¹.
 ربِّ لك الحمد.. وقفت عند باب حرمك مسكيناً ذليلاً، فقربتني وأدخلتني حرمك فازدلفت إليك.. فما أجمل اسمها؟ مزدلفة من الإزدلاف والقرب.

ربِّ أسير إلى مزدلفة ملبياً مكبراً والقلب يشعر بهيبة ووجل.. إنها جلالة دخول حرم الملك.. الله أكبر.. بل أشعر بأنس وقرب من ربي ﷻ.. ألي تلبية الشاكر الذي قبله ربه وقربه.. تلبية العبد المحب الذليل المتأدب الذي لا يزال يلبي وإن دخل حرم سيده ﷻ فأصبحت أنفاسه لله ﷻ، فمن بسط له البساط فليحذر من الانبساط.

سبحان الله.. بعد طول الدعاء البكاء في أعظم موقف في الحج أكثر من الاستغفار، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أفيضوا من حيث أفاض الناس وأستغفروا لله إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾² وكثيراً ما تُتَمَّ العبادات بالاستغفار، فقد كان رسول الله ﷺ يستغفر ثلاثاً بعد الصلاة، وقال الله تعالى: ﴿كأنوا قليلاً من الليل ما يهجعون^{١٧} وبالألسن هم يستغفرون^{١٨}﴾³، وبعد الصيام

¹ حديث جابر.

² سورة البقرة (199).

³ سورة الذاريات (17-18).

والقيام برمضان تقول في ليالي العشر: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني" رب أشعر بعظمتك وجلالك.. أستغفرك وأتوب إليك فمهما عبدتك فلا بد من التقصير والعصيان فاجبرني واغفر لي، ومهما عبدتك فلن أقوم بشيء مما تستحقه من العبودية والتعظيم، ولن أقوم بأداء شكر نعمة واحدة من نعمك.. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾¹، يقول النبي ﷺ: "لو أن رجلاً يخرّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا في مرضاة الله لحقره يوم القيامة"²، فلا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

لك الحمد ربي ما أرحمك؟! لما وقفنا بعرفة خاشعين باكين ووصلنا إلى مزدلفة متعبين، ودخلنا حرمك آمنين رحمتنا فكان التقرب إليك بأن نستريح هذه الليلة كما فعل النبي ﷺ، أنام على ذكرك وتلبيتك تقويًا على طاعتك، فغدًا أعمال الحج الأكبر.. غدًا تتم الوفاة وتكمل الزيارة بالطواف عند بيتك فأنام والقلب مشتاق إلى ربه ﷻ والصبح قريب ولكن الموت أقرب.. فهذه حجة مودع (إنها يقظة الإحسان وإغفاءة المحسنين)³.

¹ سورة الزمر (67).

² رواه أحمد (17650).

³ الوفاة (206).

◻️ وطلع فجر عيد الأضحى:

عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال: يقول النبي ﷺ: "إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى: يوم النحر، ثم يوم القر"¹، يوم النحر هو يوم الحج الأكبر فغالب أعمال الحج فيه.. هو يوم تمام الوفاة على الله ﷻ فكان أعظم الأيام عند الله ﷻ.

وقف النبي ﷺ بالمشعر الحرام بالمزدلفة فحمد الله وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، وقال: "وقفت هنا، والمزدلفة كلها موقف"². رب لك الحمد ما أوفقتني بالمزدلفة موقفاً ثانيًا إلا لترحمني وتجبر ضعفي.. فأدعوك دعاء من يرجو التعويض والتمام لما فاته من عرفات.. كم هرب القلب وتفلت بعرفات.. كم قصرت وأذنبت.. واصل الدعاء.. واصل الإشفاق على نفسك ولا تيأس، فالله قريب، وأنت قريب منه في حرمه بل في المزدلفة!!³

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه... من فيض جودك ما عودتني الطلبا

ربِّ أدعوك.. وقد تقدم منك العفو والغفران بعرفات، فالدعاء هنا

دعاء العبد المقبول — بإذن الله ورحمته — دعاء العبد الموقن بفضل الله..

¹ رواه أبو داود (1765).

² حديث جابر.

³ انظر الوفاة (209).

دعاء العبد المتلذذ بمناجاة ربه وقربه.. ربّ مهما دعوتك وتنعمت بقربك في عرفات فلا يملك العبد المحب الذي ذاق طعم القرب بعرفات إلا أن يلهج بذكر محبوبه ﷺ يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾¹.

❖ الدفع من مزدلفة إلى منى:

"ودفع النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تطلع الشمس وعليه السكينة"²، "ولم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة"³ ربّ إني عبدك متبع رسولك ﷺ.. خرجت من منى إلى عرفة يوم التروية بعد طلوع الشمس، ثم وقفت بعرفة إلى غروب الشمس، ثم أدفع اليوم من مزدلفة قبل طلوع الشمس حين يسفر جدًّا، كل ذلك امتثالًا لأمرك واتباعًا لسنة رسولك ﷺ فأعبدك ﷺ كما تريد في الوقت الذي تريد، في المكان الذي تريد.. وأخرج اليوم من مزدلفة حين يسفر جدًّا قبل طلوع الشمس مخالفة للمشركين، فكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: "أشرق ثبير"⁴، فأعزم على

¹ سورة البقرة (198).

² حديث جابر.

³ رواه البخاري (1544)، ومسلم (1281).

⁴ رواه البخاري (1684)، و(ثبير): جبل معروف بالمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى، وهو أعظم

جبال مكة، عرف برجل من هذيل اسمه (ثبير) دفن فيه (فتح الباري 3/531).

مخالفة المشركين والبراءة منهم في أعمالي وعاداتي كلها، بذلك تتحقق العبودية الخاصة لله تعالى، وتظهر عزة المسلمين ويُقذف الرعب في قلوب الكافرين وينصر الله الدين، فما أعظمه من درس لو قام به الحجيج لغير الله حال المسلمين من هزيمة وذل إلى نصر وتمكين!!

رب هذا آخر العهد بالتلبية.. وأسفاه على هذه الكلمات، ما أحلاها من أنفاس في الحج! أشعر بكسرة في قلبي كلما تذكرت انقطاعها قريبًا، فلا أزال مليئًا خاشعًا لا يتحرك لساني إلا بها، ولا ينبض قلبي إلا بمعانيها.. والتلبية هنا ينبغي أن يكون لها وقع آخر في القلب! إنها تلبية من اقترب من ربه وارتقى، وذاق وارتوى! وأين من كان في البداية ممن لبي ولبي حتى بلغ المنتهى.. أي هيبة يعيشها؟! أي محبة يطعمها؟! ثم رجع وتفكر فأيقن أنه في المبتدى! فعظمته جل جلاله لا يحاط بها.. ولا يُدرى كم سينفتح لهذا العبد من مقامات الإحسان بعدها!¹

﴿ أعمال يوم النحر: ﴾

العمل الأول: رمي الجمرة الكبرى:

"أتى النبي ﷺ الجمرة الكبرى ضحى، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة²، وجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه"³، وعن ابن

¹ انظر الوفاة (220).

² حديث جابر.

³ رواه البخاري (1748)، ومسلم (1296).

عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك، عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، قال ابن عباس: (الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون)¹.

سبحان الله تأمل كيف جعلت العداوة للشيطان عداوة عملية بالرمي، كما أن محبة الله أصبحت صورة عملية بالسفر إلى بيته في الحج؟! إنها روعة الحج! فيتجلى بالرمي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾² يكاد قلبي يتفجر من الغضب لله تعالى على عدو الله وكل أعداء الله.. كأني أرجمه فأقتله انتصاراً لله وإخزاءً لعدو الله.. فما أشدها من عداوة؟! وما أقوى سلاحها! الله أكبر مع كل حصاة، وإياك أن يكون حظ قلبك من الرمي الحجر.. وإنما هو التكبير والذكر³.
الله أكبر.. التكبير أشد ما يكون على الشيطان، فإذا أذن المؤذن "الله أكبر.. الله أكبر" أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين⁴.

¹ رواه الحاكم (1713)، والبيهقي (9693).

² سورة فاطر (6).

³ انظر الوفاة (226).

⁴ رواه البخاري (608)، ومسلم (389).

والتكبير فاتحة الصلاة وشعارها، وتفتح القسطنطينية في آخر الزمان بالتكبير¹.. (الله أكبر) من كل شيء.. الله أكبر من أن يُعبد معه غيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.. (الله أكبر) من أن يتعلق قلبي بغيره، لا دنيا ولا سمعة ولا مال ولا ولد.. (الله أكبر) فلا حظ للشيطان من قلبي وعملي، فلا التفاتة إلى وساوسه وخطراته.. (الله أكبر) فلا يكبر على الله تعالى ذنب تائب، فرحمتك وسعت كل شيء.. (الله أكبر) ما تحرك بها قلبي قبل لساني إلا بإذنه.. وما رميت الحصى يميني إلا بقوته ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾² فالله أكبر³.. (الله أكبر) تسمعني وتراني وتعلم ما في نفسي.. فأكبرك كأبي أراك.. الله أكبر ما قدرناك حق قدرك، ومهما كبرت فلن أوفي حق تكبيرك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

(الله أكبر).. ها هي أمة محمد ﷺ تجتمع مكبرة رامية.. عبوديتها لله الواحد الأكبر.. قوتها بالله الأكبر.. قد عرفت عدوها ووحدت صفوفها.. تجاهد تحت راية واحدة "الله أكبر" بذلك ينصر الله هذه الأمة، إذا قامت حقًا بتكبير الله وتوحيده⁴.

¹ انظر الوفاة (227).

² سورة الأنفال (17).

³ انظر الوفاة (229).

⁴ المصدر السابق.

سبحان الله.. كيف صار حجر الرمي في الحج منهجاً للأمة في عقيدتها وشريعته؟! إنه التوسط في كل شؤون أمة الوسط، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو على ناقته: القُط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات من حصى الخذف، فجعل ينفذهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا" ثم قال: "أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"¹.

سبحان الله.. تأمل في بداية أعمال يوم النحر.. كيف افتتحت برمي الجمرة؟ كأن الرمي استعادة بالله من الشيطان الرجيم في صورة عملية، وإزالة للموانع والعوائق قبل الوفادة على الله ﷻ ومناجاته في طواف الإفاضة كالاستعادة بين يدي مناجاة الله وتلاوة كلامه.

سبحان الله.. أرمي جمرة العقبة وحيدة! لعل من الحكم أن اليوم يوم وفادة على ربنا ﷻ، يوم اقتراب من محبوبنا ومعبودنا ﷻ.. يوم انشغال بمناجاة الله ونحن نطوف ببيته طواف الزيارة، لا يوم اشتغال بالعدو فيكتفى بالجمرة الكبرى، ويتأدى بها إزالة العائق، ثم يتفرغ الحاج للإقبال على الله ﷻ في طواف الزيارة والله أعلى وأحكم.

لك الحمد ربنا ما أكرمك! يقول النبي ﷺ: "وأما رميك الجمار، فلك بكل حصارة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات"²، وإذا كنت طاهرًا من

¹ رواه النسائي (3057)، وابن ماجه (3029).

² حديث فضائل الحج المتقدم.

الموبقات فأبشر بمضاعفة الحسنات، ورفع الدرجات بما لا يعلمه إلا الله تعالى، حتى قال النبي ﷺ: "وإذا رمى الجمار لا يدري أحد ما له حتى يوفاه يوم القيامة"¹، وقال النبي ﷺ: "وإذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة"²، وعن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: (رمى الناس الجمار في الجاهلية والإسلام، فكيف لا يسد الطريق؟ قال: ما يقبل منه رفع، ولولا ذلك كان أعظم من ثبير)، ونحوه عن أبي سعيد³.

العمل الثاني: نحر الهدى:

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنه بيده ثم أعطى علياً رضي الله عنه فنحر ما غير⁴، ويقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ

¹ حديث فضائل الحج المتقدم.

² رواه البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كشف الأستار (1140) وقال: (لا تعلمه متصلاً عن ابن عباس إلا بهذا الطريق) وفيه سعد بن عبد الحميد بن جعفر المدني سكن بغداد، (صدوق له أغاليط)، وهو يروي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد حديثه فيه ضعف لا سيما ما حدث به ببغداد، ويخشى أن تكون رواية سعد عنه ببغداد؛ لأنه سكنها وقد انفرد عنه بهذا الحديث لكن يتساهل في فضائل الأعمال، وفيه: صالح مولى التوأمة، وقد اختلط وروى عنه موسى بن عقبة قبل الاختلاط كما في الكواكب النيرات (263).

³ رواهما ابن أبي شيبة (15335)، (15336).

⁴ حديث جابر رضي الله عنه.

لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ
 اللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾¹.

سبحان الله.. كم في نحر الهدى من خصال التقوى؟! أتذكر بالنحر ذلك الموقف العظيم الذي يشعل نار محبة الله تعالى في القلب.. لما رزق خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام الولد على كبر، وتعلقت به شعبة من قلبه؛ أمره الله بذبح ولده ثمرة فؤاده.. فلذة كبده امتحاناً لمحبه، وتكميلاً لخلته، يقول الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ﴾^١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ أَفَعَلِ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّيرِينَ^٢ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ^٣ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^٤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ^٥ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ^٦ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^٧ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^٨ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^٩ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^{١٠} ﴿٢٧﴾²، قال قتادة رحمه الله: في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: (أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله).. فما أروعها من محبة لله! جعلته يضحي بابنه الوحيد، ويستجيب ولو بإشارة من ربه في منامه.. يستسلم ولا يتردد أو يسأل.. ثم تسمع أدب الاستسلام التام من الابن البار إسماعيل عليه السلام ﴿يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، ولا يتخذها بطولة أو شجاعة وإنما يتوارى تحت مشيئة الله ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّيرِينَ﴾.

¹ سورة الحج (37).

² سورة الصافات (101-111).

ولو بيد الحبيب سقيت سماً ... لكان السم من يده يطيب

وهكذا الحاج خرج مستسلماً لربه.. يود أن يفدي روحه في سبيل الله،
وفي كل ما يحبه الله (وقف بعض الخائفين بعرفات وقال: إلهي! الناس
يتقربون إليك بالبُدن، وأنا أتقرب إليك بنفسي)¹.

سبحان الله.. (لما جنى العبد على نفسه وأذنب، فكأما أحل القتل
بنفسه، فأمر بالفداء)²، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ
إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾³،
رحمتنا فجعلت "الندم توبة" فهذه الهدايا والأضاحي فدية لنفسي المذنبه
المستحقة للتلف، فيا نفس هل من توبة صادقة وإنابة خالصة!؟

ربِّ لك الحمد.. أبحث لنا ذبح البهائم المطيعة المسيحة لك حتى
تتقوى بها أبداننا وعقولنا وقوانا فنزداد لك ذكراً وتسبيحاً، فكيف أقابل
نعمتك بالاستعانة بها على معصيتك، ورُبَّ مركوبة خير من ركبها وأكثر
لله منه ذكراً! يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁴.

¹ لطائف المعارف (497).

² إثبات العلل للحكيم الترمذي (206).

³ سورة البقرة (54).

⁴ سورة الحج (36).

ربنا لك الحمد.. جعلتنا بذبح الهدايا محسنين إلى الفقراء والمساكين فيجتمع لنا في الحج الذل لله تعالى، والإحسان لعباد الله، يقول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾¹، وربما كانت لحومها في زماننا كافية لسد مجاعات المسلمين في العالم كله، مع ما يقوم في القلب من الوثوق بما في يد الله وحسن الظن به ﷻ.

سبحان الله.. ما أجله من مشهد يبعث التعظيم لرب العالمين! بهائم عجماء لا تعقل ولا تنطق.. تُساق إلى بيت الله الحرام من كل مكان، ولا يحل نحرها إلا في حرم الله تعظيماً لله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى آلِيِّبَتِ الْعَتِيقِ﴾² سبحانك ما أعظمك! كل شيء راجع إليك جلّ جلالك، فنحن وأنعامنا نسير إلى بيتك، حتى ساق النبي ﷺ الهدي معه من المدينة تعظيماً لله ﷻ ولشعائره، والحج يفضل ويعظم بالإكثار من ذبح الهدايا، فقد سئل النبي ﷺ: أي الحج أفضل؟ قال: "العج والثج"³. بل يقول النبي ﷺ: "وأما نحرك فمدخور لك عند ربك"⁴، ويكفي هذه الشعيرة شرفاً أنها قرنت بأجل العبادات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا

¹ سورة الحج (28).

² سورة الحج (33).

³ تقدم تحريجه، والثج: هو كثرة إراقة الدماء.

⁴ حديث فضائل الحج المتقدم.

أَعْظَيْتَكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ¹، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾².

سبحان الله.. ما أجمل ترتيب أعمال الحج يوم النحر! فبعد الانتصار على الشيطان بتكبير الله تعالى بنسك الرمي، تنتصر على نفسك الأمارة بالسوء وسائر شهواتها، فتقدم محبة الله ﷻ على كل محبوب، كما قدم خليل الله إبراهيم محبة الله تعالى على محبة ابنه، وكأنك تفدي نفسك المذنبه بالهدى، وتتوب إلى الله تعالى، وبذلك يزول كل عائق ومانع في طريقك إلى الله ﷻ قبل الوفادة على بيته، وأيضاً كما أحسنت إلى عباد الله بأفنع الصدقات عند الناس - اللحم - فعسى أن يحسن الله تعالى إليك عند الوفادة عليه ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾³، والله أعلم.

العمل الثالث: الحلق أو التقصير:

"نحر رسول الله ﷺ، فحلق وجلس بمنى يوم النحر للناس، فما سُئِلَ عن شيء فُدم قبل شيء إلا قال: لا حرج، لا حرج"⁴ رب هذه ناصيتي بين يديك.. أحلق رأسي خضوعاً لأمرك وتذلاً لعظمتك واتباعاً لسنة رسولك ﷺ كما يلحق رأس السجين إظهاراً لذلك.

¹ سورة الكوثر (1-2).

² سورة الأنعام (162).

³ سورة الرحمن (60).

⁴ رواه البخاري (1722)، ومسلم (1307).

رب لك الحمد.. أشعر براحة وفرحة عند الحلق وإزالة التفت، ولكن
 الفرحة هنا فرحتان: فرحة إتمام العمل، وفرحة التهيؤ للوفادة على الله
 ﷺ بطواف الزيارة، فأتزين بما يحبه الله ﷻ، أتزين بطابع الذلّ على رأسي
 ثم أنظف وأطيب وأبس ثيابي وأتحلل من إحرامي كما فعل النبي ﷺ،
 وقلبي ممتلىء بالشوق للقاء ربي ﷻ والقرب منه بطواف الزيارة، يقول الله
 تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾¹.

العمل الرابع: طواف الإفاضة والسعي:

ربّ لك الحمد.. اليوم تتم الوفاة عليك، وننعم بقربك عند بيتك..
 فهذا الطواف هو مقصود أعمال الحج فكان خاتمة لها، وما قبله مقدمات،
 وما بعده تتمات، يقول ابن القيم رحمه الله: (والسجود سر الصلاة وركناتها
 الأعظم وخاتمة الركعة وما قبله من الأركان كالمقدمات له، فهو شبه طواف
 الزيارة في الحج فإنه مقصود الحج ومحل الدخول على الله وزيارته وما قبله
 كالمقدمات له)².

تأمل أخي الحاج.. وقفت بباب الملك بعرفات متضرعاً باكياً فأكرمك
 وأدخلك حرمه، ثم أغضت عدوك وعدوه الشيطان وقربت القران، وتذللت
 بوضع الشعر والأدران، فماذا بقي؟ بقي أن تنعم بزيارة ربك ﷻ والقرب

¹ سورة الحج (29).

² الصلاة وأحكام تاركها (147).

منه.. حقاً إنه طواف الزيارة.. يقول ابن القيم رحمه الله: (ويوم عرفة مقدمة ليوم النحر بين يديه، فإنَّ فيه يكون الوقوف والتضرع والتوبة والابتهاال والاستقالة ثم يوم النحر تكون الوفادة والزيارة؛ ولهذا سمي طوافه طواف الزيارة؛ لأنهم قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم بهم يوم النحر في زيارته والدخول عليه إلى بيته؛ ولهذا كان فيه ذبح القرابين وحلق الرؤوس ورمي الجمار ومعظم أفعال الحج، وعمل يوم عرفة كالطهور والاغتسال بين يدي هذا اليوم)¹.

ربِّ أشعر أني أطوف ببيتك وقد أكرمتني ورحمتني وقربتني.. أطوف بشيبي وزينتي، فالحبة والأنس بالله ﷻ لها لذة أخرى هنا.. وكم بين طوافي بالبيت قبلُ بإحرامي وافتقاري وبين طوافي بالبيت اليوم بزینتي وأنسي بربي تعالى! كل طواف يدخلني من باب من أبواب العبودية إلا أن طواف الزيارة يدخلني من باب العبودية الأعظم.. محبة الله.. فهذا طواف العبد المحب المقرب الذي يناجي ربه كأنه يراه.. طواف العبد المشتاق للقائه ﷻ، الذي ينتظر رؤية ربه ﷻ.. طواف العبد الذي بلغ المنتهى من هذه الوفادة، فتيقن أنه في بداية المرتقى؛ لأنه الله العلي الأعلى فكماله لا يجد ونعمه لا تحصى.. فهو طواف العبد الخائف الذليل المقصر الفقير.. لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

¹ زاد المعاد (56/1)

◈ الشرب من ماء زمزم¹:

وبعد أن صلى رسول الله ﷺ ركعتي الطواف، ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصب على رأسه، ثم رجع إلى ركن الحجر الأسود فاستلمه.²

وفقتني فطفْتُ بيئتكَ وتنعمتُ بقربك، فلما انتهيت أكرمتني بضيافتك! تسقينني وتطعمني بخير ضيافة على وجه الأرض.. ماء زمزم، يقول النبي ﷺ: "إنها مباركة، إنها طعام طعم"³، ويقول النبي ﷺ: "ماء زمزم لما شرب له"⁴.. فاللهم طهر قلبي من كل ما سواك، واملأه من محبتك وخشيتك حتى أعبدك كأني أراك.. ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا شربها: (اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء)⁵، وكان رضي الله عنهما إذا نزل به ضيف أتخفه من زمزم⁶، وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يشرب زمزم ويقول: (هذا أشربه لعطش يوم القيامة)⁷.

¹ ولم يسع النبي ﷺ بين الصفا والمروة بعد طواف الإفاضة والشرب من زمزم؛ لأنه كان قد سعى بينهما بعد طواف القدوم، وهكذا يفعل القارن والمفرد، أما المتمتع فعليه سعي آخر بعد طواف الإفاضة عند جمهور العلماء.

² حديث جابر وقد تقدم تخريجه.

³ رواه مسلم (2473).

⁴ رواه أحمد (14849).

⁵ رواه عبد الرزاق (9112) والدارقطني (2738).

⁶ أخبار مكة للفاكهي (1114).

⁷ السير (393/8).

◈ أيام التشريق وأعمالها:

ورجع النبي ﷺ إلى منى بعد انتهائه من أعمال يوم النحر، وبات بها ليالي التشريق ورمى الجمرات الثلاث في كل يوم منها بعد الزوال.

رب لك الحمد.. ما أجمله من ختام للوفادة على الله ﷻ! فبعد النَّصب والجهد شرع لنا ربنا ﷻ أن نستريح بمنى فنأكل ونشرب ونذكره ﷻ، فالحجيج هذه الأيام في ضيافة الملك وكرامته، ولهذا يقول النبي ﷺ: "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل"¹، ونهى النبي ﷺ عن صيامها إلا لمن لم يجد الهدى² فلا يليق بالضيف أن يُعرض عن ضيافة الكريم الرحمن، سئل علي رضي الله عنه: (فمن أين حرم صيام أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زوار الله وهم في ضيافته)³، بل كان يوم استقرار ضيوف الرحمن - اليوم الحادي عشر- من أعظم الأيام عند الله تعالى، يقول النبي ﷺ: "إن أعظم الأيام عند الله: يوم النحر، ثم يوم القر"⁴.

ربِّ ما أرحمك.. وفقنتي لإتمام نسكي، ثم أكرمتني فتطعمني وتسقيني وتعيني على ذكرك.. أشعر وأنا في ضيافة الكريم بانكسار وحياء ومحبة

¹ رواه مسلم (1141).

² رواه البخاري (1997).

³ شعب الإيمان (510/5).

⁴ تقدم تخريجه.

ورجاء.. كيف يليق بعبدك أن يعصيك وهو في ضيافتك؟ كيف يليق بعبدك أن يغفل عن ذكرك طرفة عين وقد أسبغت عليه من حُلل كرامتك؟ ما ظنك بالكريم المنان وأنت في ضيافته إذا دعوته وذكرته وكبرته؟

والله لو فهم الحجيج حقيقة الجلوس بمنى، وشعروا بضيافة الله تعالى لما رأيت عاصياً ولا غافلاً، ولما سمعت إلا دويًا بالتكبير والتهليل (يا حسرتاه على أيام منى حين يضيعها كثير من الحجيج، يظنون أن الحج قد انتهى، وأن الدنيا أقبلت)¹.

رب.. نَفْسِي بمنى إنما هو بذكرك وتكبيرك.. أكل وأشرب استعانة على ذكرك، يقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾²، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا فَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾³، ويقول النبي ﷺ: "أيام التشريق؛ أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل"⁴. فقد كان أهل الجاهلية

¹ الوفاة (250).

² سورة البقرة (203).

³ سورة البقرة (200-202).

⁴ تقدم تخريجه.

بعد حجهم يكثرون من ذكر أمجاد آبائهم فأمرنا الله باللهج بذكره، وعن عطاء رحمه الله قال: (هو قول الصبي: أبه.. أمه)¹.

وعش أيها القلب مع الصحابة رضي الله عنهم وهم يُكبرون أيام منى، يقول البخاري رحمه الله: (باب التكبير أيام منى): (وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً، وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه وتلك الأيام جميعاً، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد)²، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يكبر أيام التشريق: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر والله الحمد)³.

(الله أكبر) أنت الكبير الجليل.. مهما عبدتك وكبرتك فلن أوفي بشيء مما تستحقه من التعظيم.. لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.. (الله أكبر) مهما كبر ذنبي وعظم تقصيري فعفوك أكبر.. ف(الله أكبر الله أكبر والله الحمد).. (الله أكبر) ضاعفت القليل من عملي وأعطيت

¹ رواه الطبري (3861)

² كتاب العيدين، باب: التكبير أيام منى.

³ رواه ابن أبي شيبة (5633).

الجزيل وأظهرت الجميل.. (الله أكبر) كل شيء مهما كبر في الدنيا يصغر عند كبريائك، فلا يكبر في عيني شيء إلا الله، لا المال ولا الأهل ولا الولد ولا النفس ولا المرض ولا الشهوات ولا الفتن.. (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله).

الله أكبر.. يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾¹.. ف (الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر والله الحمد.. الله أكبر وأجل.. الله أكبر على ما هدانا)²، الله أكبر.. كم في الحج من هدايات تقربنا إليك حتى نعبدك وكأننا نراك ﷻ، فلك الحمد على نعمة الحج وشعائره.

(الله أكبر) وفقطنا لإتمام حجنا وهديتنا فيه لسنة نبينا ﷺ، وهديت قلوبنا بما هديت من الخشوع والإحسان.. (الله أكبر) معاني التكبير لا نهاية لها، فعَظَمْتُكَ لا يُحَاطُ بها، ومهما تفكرت وكبرت فالله أكبر مما يخاطر بالبال.. فلا يزال لساني رطبًا بذكرك وإن انقضى حج بيتك، فكل عمل ينقضي وذكرك باق لا ينتهي، حتى أهل الجنة يُلهمون ذكر الله كما يُلهمون النفس، فالله أكبر.. الله أكبر.

¹ سورة الحج (37).

² رواه ابن أبي شيبة (5646).

التكبير هنا له لذة أخرى.. أكرمك ربّ وأنا في ضيافتك فأشعر بأنس وشوق للقائك.. يكاد القلب يطير ويتصدع.. فالله أكبر على امتلاء القلب بالحبّة والإيمان.. وأرجو أن تكرمني بدار كرامتك ولذة النظر إلى وجهك في الفردوس الأعلى كما أكرمتني بضيافتك أيام منى.. فالله أكبر.

رب.. تُذكّرني هذه الضيافة بالضيافة الكبرى في الجنة ف(الدنيا كلها سفر كأيام الحج، وهي زمان إحرام المؤمن عما حرّم الله عليه من الشهوات، فإذا انتهى سفر عمره، ووصل إلى منى المنى - في الجنة - صارت أيامه كلها كأيام منى، أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل، وصار في ضيافة الله وجواره أبد الأبد، ولهذا يقال لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾¹.

ربّ لك الحمد.. أكرمتني فكيف لا أكرم وفدك وأنا في ضيافتك ومحل كرامتك.. فابذل وتصدق.. أعط وأكرم.. فالله كريم يحب الكرماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾² وسئل النبي ﷺ عن برّ الحج، فقال: "طيب الكلام، وإطعام الطعام"³، سبحانه الله ما أجمله من تألف وتراحم بين المسلمين! حتى أصبحت منى (أكبر بقعة

¹ لطائف المعارف (507).

² سورة الحج (28).

³ تقدم تخريجه.

للكرم والإحسان على وجه الأرض، الغني يُضيف، والفقير يُضيف،
واللحم صار مُشاعًا من المشاعات، وهو أغلى المطعومات)¹.

ولا تنس النصيحة للمسلمين فهذا هو الإحسان الحقيقي، يقول شجاع بن الوليد: (كنت أحج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتّر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا)² وربما كان اللقاء ببعض المسلمين الذين هم من بلاد بعيدة سببًا لمشاريع دعوية وخيرية، ونشر الخير في بلاد يصعب الوصول إليها، وهذا من بركة الاجتماع الأعظم في الحج.. ولعله اللقاء الأول والأخير فالجنة الموعد.. يا أرحم الراحمين³.

رمي الجمرات أيام التشريق: ﴿﴾

عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبر على إثر كل حصاة ثم يتقدم، حتى يُسهل -وفي لفظ: أمامها- فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو يرفعه يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال، فيسهل ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا

¹ الوفاة (251).

² السير (259/7).

³ انظر الوفاة (253).

يقف عندها، ثم ينصرف ويقول: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل¹، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا)².
رب لك الحمد.. فُزت هذه الأيام أعظم فوز، ولا فوز في الدنيا كلها مثله.. أرجع كيوم ولدتي أُمي.. القلوب أيقنت.. النفوس طهرت.. السيئات كُفرت.. الحسنات ضوعفت.. الدرجات رُفعت.

الآن الشيطان يتقرب.. يغيظه هذا الفوز العظيم، فيريد أن يُرجعك إلى السيئات حتى تزول هذه البركات والرحمات.. وأنت تظن أن الحج قد انتهى فإياك أن تسمع له، بل أقبل على رميه بالحصى.. الله أكبر.. الله أكبر.. لعل الله يحفظك ويحفظ لك حسناتك وإيمانك ويزيدك هدى على هدى..
فما أجمله من ختام! يحفظ للحاج كل خير كختم القرآن بسورة الناس حتى يحفظ لخاتم القرآن ما فاز به من خير.

سبحان الله.. أتفرغ هذه الأيام لمعاداة الشيطان فأرمي الجمرات الثلاث ولا أكتفي بالكبرى كما في يوم النحر.. تأمل يوم النحر يوم وفادة على ربنا ﷻ.. يوم انشغال بمناجاته عند بيته لا يوم اشتغال بالعدو فيتأدى المقصود من إزالة العائق قبل المناجاة برمي الجمرة الكبرى فقط، وأما هذه الأيام فما أشبهها (بجلسة المحارب بعد انتصاره، وفرحته براحته بعد إلقاء تفثه، وأكله من غنيمته بعد تحقيق انتصاره إلا أن شبهها بأيام المرابط في

¹ رواه البخاري (1751).

² رواه البخاري (1746).

مواجهة العدو المترقب المتوثب المستعد أكبر وأشبه...¹، فمن المناسب - والله أعلم- أن ترمى الجمرات الثلاث كلها في نهاية الحج حفاظاً على حسناتك وإيمانك، والحفاظ على البقاء في القمة أشق من طريق الوصول إليها.. فأشعر أني في رباط دائم هذه الأيام، مع عدو يجري مني مجرى الدم، لا يفتر عني طرفة عين، إذا سقطت مني لقمة طعام طمع فيها! فكيف بإيماني وحجي وحسناتي وصلاتي.. رب أعوذ بك من همزات الشياطين.. لا حول لي ولا قوة إلا بك، أنت حسبي لا إله إلا أنت..

سبحان الله.. أشعر وكأنّ الرمي صلة ومناجاة لله تعالى.. فالدعاء طويل وسط الجمرات، كأني أفتحه بالاستعاذة وذلك برمي الجمرة الصغرى، ويتخلله استعاذة برمي الوسطى، ويختم بالاستعاذة برمي الكبرى.. حتى تبلغ هذه المناجاة أعلى درجاتها في الحسن والصفاء فهي آخر موقف ودعاء.. فأدعوك رب كأني أراك، كان النبي ﷺ يدعو ويقوم طويلاً²، وبين لنا الصحابة رضي الله عنهم فعله، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقوم عند الجمرتين قدر قراءة سورة البقرة³، وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: (حرزت قراءة بقيام ابن عباس رضي الله عنهما عند الجمرتين بقدر سورة

¹ الوفاة (250).

² تقدم في حديث ابن عمر في صفة الرمي.

³ رواه ابن أبي شيبة (14343)، وأخبار مكة للفاكهي (2667).

من المؤمنين)¹، وعن خلف الخزاعي رحمه الله: (أدركت الناس يتزودون الماء في الأداوي إذا ذهبوا يرمون الجمار من طول القيام عند الجمرتين)².
 ربِّ أشعر بلذة أخرى في الدعاء عند الجمرات! أدعوك وأنت الكريم المنان.. أدعوك وأنا في ضيافتك ثلاثة أيام.. أدعوك وقد تمت الوفادة عند بيتك الحرام.. رب ما أوقفتني طويلاً لدعائك وأنا في محل ضيافتك إلا لتقبلي وتكرمني فلك الحمد.. فأشعر في هذا الدعاء بالقبول والغفران والقرب والرضوان.. ولعله آخر دعاء فهذه حجة مودع.. وهذا دعاء الخائف الوجل.. وكم في رمي الجمرات من تأملات وحسنات³.

وراحوا إلى رمي الجمار عشية... شعارهم التكبير والله معهم فلو أبصرت عيناك موقفهم بها... وقد بسطوا تلك الأكف ليرحموا ينادونه يا رب يا رب إننا... عبيدك لا ندعوا سواك وتعلم وها نحن نرجوا منك ما أنت أهله... فأنت الذي تعطي الجزيل وتنعم

﴿الأمر إليك أيها الضيف المكرم﴾

ربِّ ينكسر قلبي من الحياء وأنت تُخبرني بين التعجل والبقاء.. حقاً إنهما ضيافة كريمة من الكريم الرحمن، وبقاؤك أحبُّ إلى الغني الكريم عز وجلّ،

¹ أخبار مكة للفاكهي (2670).

² أخبار مكة للفاكهي (2674).

³ فقلب الصفحات إن شئت، وانظر في رمي الجمرة الكبرى يوم النحر.

وأكمل في اتباع رسول الله ﷺ، ولك بكل حصة تكفير كبيرة، فكيف والسيئات مكفرة! ولكنك الضيف العزيز المكرم، فالأمر إليك، يقول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾¹، فالشأن كل الشأن بتحقيق روح الحج.. تقوى الله ﷻ.

ربِّ أشعر -وقد تأخرت- بأنس وشوق ورجاء.. فما تأخرت إلا برحمتك، وما أخرتني إلا لتغمرني بفضلك.. ربِّ ما تأخرت إلا محبةً لك، وكيف أنصرف عن ضيافتك وكرمك، والقلب مطمئن بقربك، متنعم بكرامتك وضيافتك.. ربِّ كما أخرتني في ضيافتك فأكرمني بالتأخر عندك يوم لقائك حتى يطول القرب واللقاء في يوم المزيد يوم يتلذذ أهل الجنة بالنظر إلى وجهك ثم يرجعون ويتأخر النبيون والمقربون مع رهم ﷻ². وبعد انصراف الناس من منى.. يتفكر القلب ويتفكر.. أين الناس؟ أين خيامهم؟ أين آثارهم؟ أين زحامهم؟ أين أصواتهم؟ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾³ ولا يبقى إلا العمل الذي أردت به وجه الله ﷻ.. فالإخلاص الإخلاص⁴.. سبحان الله سترى قريباً مثل هذا

¹ سورة البقرة (203).

² مسند الحارث (196)، والطبراني في الأوسط (2084).

³ سورة الرحمن (26-27).

⁴ انظر الوفاة (262).

الجمع والانصراف في اليوم الموعود ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾¹ ولكن الجمع هنالك هم الخلق أجمعون، والانصراف إما إلى جنة، وإما إلى نار.²

سبحان الله.. عُذ الآن وقف وحدك بعرفة أو ارم أو قف بالمزدلفة.. كأنك ما فعلت شيئاً، فالأرض لا تزكي أحداً إنما هو التزام العبادة لله تعالى كما يجب الله في الوقت الذي يجب³، فالزم السنة فإنها الطريق الموصل إلى محبة الله تعالى ورضوانه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴.

طواف الوداع: ﴿٥﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض"⁵.
رب ما أكرمك.. يقول النبي ﷺ: "وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل

¹ سورة هود (103).

² انظر الوفاة (262).

³ انظر الوفاة (265).

⁴ آل عمران (31).

⁵ رواه البخاري (1755)، ومسلم (1328).

فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى"¹، وقال: "وأما طوافك بالبيت إذا ودعت فإنك تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك"².

رب.. أنا مستسلم لأمرك بوداع بيتك.. النفس منقبضة.. والأرجل ثقيلة.. كيف لا وقد اقترب القلب وذاق وطاب.. وهذا طواف مودع لا يدري أيعود بعد هذا الوداع، أم هو الوداع الأخير؟! فلتعش الوداع ظاهرًا وباطنًا، قلب متلهف وعين هاملة ولسان ذاك ودعاء مضطر، كأنك ترى الله ﷻ³.

رب لولا رجاء لقاءك في جنتك والنظر إلى وجهك لزهقت نفسي ولما أطقت فراق بيتك.. رب لولا اليقين بقربك ومعيتك عند ذكرك وطاعتك في أي مكان للزمت بيتك سائر الزمان ولكنني أسألك أن تعينني على درجة الإحسان فأعبدك كأني أراك حيثما كنت.

حقًا إنها جنة الدنيا.. لذة العبادة والإيمان، وحلاوة المحبة والإحسان بجوار بيت الرحمن.. ما أجملها من أيام! سرُّها القرب من الله تعالى فتعبده كأنك تراه.. يقول صديق حسن خان القنوجي رحمه الله: (وعندي أن حاصل عمري كان تلك الأيام، والذي مضى في غيرها لم يكن إلا منام أو

¹ حديث فضائل الحج المتقدم.

² حديث فضائل الحج المتقدم.

³ انظر الوفاة (270).

أحلام، وأرجو من الله تعالى عود هذه الأزمان، وقضاء بقية الحياة في جوار الرحمن¹.

ولما تقضوا من منى كل حاجة ... وسالت بهم تلك البطاح تقدموا
إلى الكعبة البيت الحرام عشية ... وطافوا بها سبغًا، وصلوا وسلموا
ولما دنا التوديع منهم وأيقنوا ... بأن التداني حبله متصرم
ولم يبق إلا وقفة لمودع ... فله أجفان هناك تسجم
ولله أكباد هنالك أودع الـ ... غرام بها فالنار فيها تضرم
ولله أنفاس يكاد بحرها ... يذوب المحب المستهام المتيم
فلم تر إلا باهتًا متحيرًا ... وآخر ييدي شجوه يترنم
رحلت، وأشواقني إليكم مقيمة ... ونار الأسى مني تشب وتضرم
أودعكم والشوق يثني أعنتي ... وقلبي أمسى في حماكم مخيم
هنالك لا تثريب يوما على امرئ ... إذا ما بدا منه الذي كان يكتم
فيا سائقين العيس، بالله ربكم ... قفوا لي على تلك الربوع وسلموا
قولوا محب قاده الشوق نحوكم ... قضى نجه فيكم تعيشوا وتسلموا
قضى الله رب العرش فيما قضى به ... بأن الهوى يعمي القلوب ويكتم
وحبكم أصل الهدى، ومداره ... عليه وفوز للمحب ومغنم
وتفنى عظام الصب بعد مماته ... وأشواقه وقف عليه محرم

¹ رحلة الصديق (167).

فيا أيها القلب الذي ملك الهوى ... أزمته حتى متى ذا التلوم
 وحتام لا تصحو وقد قرب المدى ... ودنت كؤوس السير والناس نوم
 بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا... ويبدو لك الأمر الذي أنت تكتم¹

وماذا بعد الحج؟

أخي الحاج.. زرعت جنة عظيمة من الحسنات في حجك، فلا تحرقها
 بإعصار السيئات، يقول الله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ
 نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ
 ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾².

- أخي الحاج.. لبست لباس التقوى فكيف تمزقه بالمعاصي؟ يقول الله
 تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غُرُبَا مِنْهُ بَعْدَ قُوَّةٍ أَنْكَثَا﴾³.

- أخي الحاج.. رجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، فحافظ على
 هذا الطهر والصفاء، وعلامة القبول أن تكون أخي الحاج مُداوِمًا على
 الاستقامة لله تعالى، يقول بعض السلف: (ثواب الحسنة الحسنة بعدها،

¹ القصيدة الميمية لابن القيم رحمه الله.

² سورة البقرة (266).

³ سورة النحل (92).

وثواب السيئة السيئة بعدها)، والله ﷻ يقول: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾¹.

- يشعر قلبي بالخوف والوجل وأنا راجع من حجي! فكم غفلت وضيعت؟ ربما تسلل إلى قلبي شيء من رياء أو عجب أو استئثار طاعة، فلا أزال مستغفراً ربي، مُسارعاً إليه، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزِينِ لَهُمْ سَلِيمُونَ﴾².

سبحان الله.. لا تزال كلمات التلبية تُدوي في أذني.. لبيك اللهم لبيك.. فسألني نداء الله ﷻ دائماً في حياتي كلها.. لن أتأخر إذا سمعت المؤذن يؤذن ينادي: (الله أكبر الله أكبر.. حي على الصلاة)، وكأني بلباس الإحرام على بدني.. فكأني أعيش به حياتي كلها، يقول النبي ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل"³، أتذكر بكائي وأسفي على حلاوة القرب الإلهي عند غروب شمس عرفة.. فسبحانك ربي ما أرحمك! أنعمت علينا بقربك ومغفرتك كل ليلة، يقول النبي ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيته؟ من يستغفري فأغفر له؟"⁴.

¹ سورة مريم (76).

² سورة المؤمنون (60-61).

³ رواه البخاري (6416).

⁴ رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

فيا نفس اصدقي مع الله ﷻ.. وتتوالى ذكريات الحج وآثارها على قلبي، وأرجو من ربي ﷻ أن يثبتني على الإيمان والإحسان.

وفي طريق عودتي أجدد توبتي وعبوديتي لله تعالى "كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يُكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"¹، وأدعو بدعاء السفر، وأزيد فيه: "آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون"².

ثم افتتح وصولي إلى بلدي قبل أن أدخل بيتي بسنة عن رسول الله ﷺ فكان ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين³، فما أجملها من فاتحة؟! صلاة بالله تعالى واتباع لرسول الله ﷺ فنصبغ حياتي بعد رجوعي بهذه الصبغة.

سبحانك ربي ما أعظمك؟! صلاتي وتلاوتي وذكرتي وعبادتي.. لها طعم آخر بعد الحج! أرأيت لو أنك كنت تعمل أعمالاً لملك عظيم لم تره، وهو يراك ويسمعك، وأنت تعلم بمراقبته لك، فتخاف وتجتهد في إحسان العمل له.. أرأيت إن دعاك مرة إلى زيارته في بيته وقربك وأكرمك إكرامًا لا يخطر

¹ رواه البخاري (1797)، ومسلم (1344).

² رواه البخاري (3084)، ومسلم (1342).

³ رواه البخاري (4418)، ومسلم (716).

ببالك.. فازدادت المحبة والصلة.. ثم رجعت إلى الأعمال التي تعملها له، كيف سيكون حالك؟ تشعر بمحبة ورغبة في العمل.. تشعر بقربك منه عند العمل له.. تشعر أنك تقبل من نفسك إليه وإلى ما يرضيه وكأنه أمامك كأنك تراه.. وهذه أعلى درجات الإحسان.. فالحج معونة الصلاة.. بل هو معونة العبودية والاتباع.

رب.. هذه نقطة انطلاق إلى معارج الإحسان.. هذه جذوة إحسان أنرت بما قلبي في الحج.. فأعني على إيقادها حتى يسطع نور الإحسان في قلبي وجوارحي وحياتي كلها فأعبدك كأني أراك.. فتكرمني بأعظم إحسان يوم ألقاك.. بالنظر إلى وجهك الكريم جلّ جلالك في الفردوس الأعلى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾¹.

¹ سورة يونس (26)، انظر الوفاة (276).

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

مناجاة في مدينة رسول الله

﴿ هذا من فضل ربي ﴾

(خرج الركب العراقي سنة (349هـ) حاجًا إلى بيت الله الحرام، زمن خوفٍ من الأعراب وسُرَّاق الحجيج، ولما فرغوا من الحج، عزم أميرهم على العود سريعًا إلى بغداد، وألا يسيروا إلى المدينة خوفًا من الأعراب، فشق ذلك على الناس! فقام شابان قارئان على جادة الطريق التي منها يُعدَّلُ إلى المدينة النبوية وقرءا: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرِغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ﴾¹، فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأميرُ إلى المدينة النبوية، فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم، والله الحمد والمنة)².

ربِّ لك الحمد.. شرحت صدري لزيارة مدينة رسولك ﷺ ويسرتها لي.. ما أعظمها من نعمة! وما أجلها من زيارة! وكم من الناس من يسافر إلى بلدان عديدة وقد حرموا أنفسهم من هذه الزيارة الكريمة، يقول ابن حجر رحمه الله: (إنها من أفضل الأعمال، وأجلّ القربات الموصلة إلى ذي الجلال)³.

¹ التوبة (120).

² البداية والنهاية (334).

³ فتح الباري (66/3).

وأَيَّ طريق أقرب إلى الله تعالى من طريق محبة رسول الله ﷺ واتباعه، فالمرء مع من أحب، وما دمتُ في المدينة النبوية، فأنا بجوار رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أعيش في المدينة التي عاشوا فيها.. أصلي حيث كانوا يصلون.. لعل هذا المكان الذي أجلس فيه قد جلس فيه رسول الله ﷺ، لعل هذا الطريق الذي أمشي فيه قد مشى فيه رسول الله ﷺ.. المدينة النبوية بمسجدها وبقاعها وذكرياتها تثير في القلب حنينًا وشوقًا إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فالإيمان ها هنا له حلاوة أخرى، يقول النبي ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بمن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما"¹، فكيف والقلب قد اقترب وتنعم بجوار رسول الله ﷺ في مدينته.

ربِّ اجعلني ممن يعرف قدر هذه الزيارة الكريمة، وأعني على أداء حقها وحسن عبادتك فيها.. ربِّ بارك لي في زيارتي هذه وزدني بها محبة لرسولك ﷺ واتباعًا، فالقادمون إلى المدينة النبوية كثير، والزائرون حقًا قليل!

¹ رواه البخاري (16) ومسلم (43).

◻ في الطريق إلى مدينة رسول الله ﷺ:

رب تراني وأنا في طريقي إلى مدينة رسولك ﷺ.. ما أخرجني إلا محض محبة رسولك ﷺ.. أسير ببديني وإذا بقلبي يطوي الزمان فيسير مع رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة¹.

كأني برسول الله ﷺ يخرج من بيته والمشركون يرتقبونه، فينثر التراب على رؤوسهم ويمر من بين أيديهم، ولما انتهوا ثاروا إلى بيته، فإذا بعلي رضي الله عنه نائم في فراشه، فبهتوا وخذلوا، وانطلق رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه متخفيين، فيمشي أبو بكر رضي الله عنه ساعة من بين يدي رسول الله ﷺ، وساعة خلفه، فيقول له رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي، وساعة خلفي؟" فيقول: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك.

ولما انتهيا إلى غار ثور، قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل واستبرأ الغار، ثم دخل رسول الله ﷺ، ونام رسول الله ﷺ في حجر أبي بكر رضي الله عنه، فلدغ أبو بكر في رجله، فلم يتحرك مخافة أن يُوقظ رسول الله ﷺ، فسقطت

¹ تفاصيل أحداث الهجرة مستفادة من البداية والنهاية (177/3)، واللؤلؤ المكنون (34/2).

دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: "مالك يا أبا بكر؟" فقال: لُدِغْتُ فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ على جرحه، فذهب ما يجد.

واقصص المشركون أثرهما حتى وصلوا إلى الغار، فأخذ الروع أبا بكر رضي الله عنه وهمس للنبي ﷺ: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا".

ثم خرجا بعد ثلاث ليالٍ، وأكَمَلَا سيرهما إلى المدينة، وإذا بسراقة بن مالك يقترب منهما بفرسه ليقتلهما طمَعًا في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بهما، فتتعر به فرسه، فيقوم ويركب ويقترب.. يقول: فدنوت منه حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يتلفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، فخرت عنها، فعلم سراقة أن الرسول ﷺ حق فناداهما بالأمان، فوصل إليهما ثم أسلم وصدّ عنهما المشركين.

وفي طريقهما إلى المدينة، مروا على خيمة أم معبد الخزاعية فسألاها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئًا، وكان قومها قد أصابهم الجذب، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب الخيمة، فقال: "أتأذنين لي أن أحلبها؟" فأذنت له، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فدرّت لبنًا كثيرًا، ثم سقاها حتى رويت، وسقا أصحابه حتى رووا، ثم ارتحلوا عنها،

فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد؟! قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا... فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا.. وأصبح صوتٌ بمكة عاليًا يسمعونه، ولا يدرون من صاحبه:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلاً خيمة أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فيا سعد من أمسا رفيق محمد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

ثم لقي رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب فدعاه للإسلام فأسلم هو

ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتًا، وصلوا خلف رسول الله ﷺ صلاة العشاء.. دعوة على الطريق!! حياة لا تعرف استراحة من العمل والدعوة لا في إقامة ولا في سفر.

وكان أهل المدينة في شوق عظيم إلى رسول الله ﷺ فكان الشوق

يخرجهم إلى الحرة بظاهر المدينة كل يوم من بعد صلاة الصبح إلى أن

يشد الحر ينتظرونه ثم يرجعون إلى منازلهم، وفي يوم الاثنين الثاني عشر

من ربيع الأول سنة أربعة عشرة من البعثة، وهي السنة الأولى من الهجرة،

خرجوا على عادتهم فلما حمي الحر رجعوا فإذا برجل من اليهود على حصن من حصونهم، يرى رسول الله ﷺ وصاحبه من بعيد، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم¹ الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، وتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، وسمعت الرجة والتكبير فرحاً بقدومه، وبقي رسول الله ﷺ بقاء أسبوعين وبني مسجد قباء، ثم لما أراد رسول الله ﷺ أن يدخل وسط المدينة أرسل إلى أخواله من بني النجار إكراماً لهم، فجاءوا وساروا نحو المدينة فأدركتهم صلاة الجمعة، فصلى رسول الله ﷺ الجمعة بأصحابه، وكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة.

ودخل رسول الله ﷺ المدينة بعد الجمعة في جو مشحون بالفرح والبهجة والسرور، حتى ارتجت بيوت المدينة وسككها بالتحميد والتكبير.. تفرق الغلمان والخدم في الطرقات ينادون: يا محمد يا رسول الله.. يا محمد يا رسول الله، والنساء من فوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟؟ أيهم هو؟؟ وخرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

¹ أي: حظكم.

يقول أنس رضي الله عنه: (لما كان اليوم الذي دخل رسول الله ﷺ فيه المدينة، أضاء منها كل شيء) ، ويقول رضي الله عنه: (فما رأيت يوماً قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة).

وكان رسول الله ﷺ لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام ناقته قائلين: (هلم يا رسول الله) فيقول: "خلوا سبيلها فإنها مأمورة"، حتى بركت موضع المسجد النبوي في دور أخواله بني النجار، أمام دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه فقال رسول ﷺ: "هذا إن شاء الله المنزل" ففاز خالد بالشرف الخالد! طارت قلوبنا شوقاً للقاء نبينا محمد ﷺ فاللهم ارزقنا صحبته في جنات النعيم.

ويسير القلب مع الصحابة المهاجرين رضي الله عنهم، وإذا بأُم سلمة رضي الله عنها تستغيث.. نزعوا ابنها من حجرها! تجاذبه أهلها وأهل زوجها حتى خلعوا يده.. وأبو سلمة رضي الله عنه لا قوة له إلا بالله، ففر بدينه مهاجراً.. وبعد سنة من البكاء على ابنها وزوجها.. أعادوا لها ابنها وسمحوا لها أن تخرج إلى المدينة.

وهذا **صهيب الرومي** رضي الله عنه يعترضه المشركون فيقول: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فأخذوا جميع ماله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وقال: "ربح صهيب، ربح صهيب" ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ¹ .. ما أجملها من
ذكريات تبعث الشوق لصحبة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم
والتضحية لنصر دينه!

ربِّ لك الحمد.. جعلت باب الهجرة مفتوحًا في كل زمان ومكان،
يقول النبي ﷺ: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"²، ويقول النبي ﷺ:
"العبادة في الهرج كالهجرة إلي"³، فاصدق مع الله واعزم على توبة نصوح
وعبادة خالصة تكن من المهاجرين إلى الله ورسوله ﷺ.

اقتربنا من المدينة.. القلب يطير حبًا إليها حتى كأنه يريد أن يفارق البدن
لكنه لا يملك إلا أن يأمر البدن فيسرع، عن أنس رضي الله عنه: "أن النبي
ﷺ كان إذا قدم من سفر، فنظر إلى جدران المدينة، أوضع⁴ راحلته، وإن
كان على دابة حركها من حبها"⁵، هكذا صنع حب المدينة برسول الله
ﷺ! فماذا عسى أن يفعل حب رسول الله ﷺ بمن زاره بمدينته؟!

¹ سورة البقرة (207).

² رواه البخاري (10).

³ رواه مسلم (2948)، وفي لفظ لأحمد (20311): "في الفتنة".

⁴ أسرع

⁵ رواه البخاري (1886).

عذراً لكم وفد عبد القيس!! قدموا المدينة فأشار لهم عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ "فرمى القوم بأنفسهم عن رحلهم، منهم من سعى، ومنهم من هرول، ومنهم من مشى، حتى أتوا النبي ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها وقعدوا إليه"¹.. وقدم الأشعريون -فيهم أبو موسى الأشعري- رضي الله عنهم المدينة، فلما دنوا منها كانوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة ... محمداً وحزبه²

اقتربنا وما شعرنا بالطريق، وكأنه يُطوى لنا.. هكذا تصنع المحبة.
 ورب الورى لولا محمد لم نكن ... لطيبة نسعى والركاب شددناه
 ولولاه ما اشتقنا العقيق ولا قبا ... ولولاه لم نحوى المدينة لولاه
 به شرفت تلك الأماكن كلها ... وربك قد خص الحبيب وأعطاه
 لمسجده سرنا وشدت رحالنا ... وبين يديه شوقنا قد كشفناه
 قطعنا إليه كل بر ومهمه ... ولا شاغل إلا وعنا قطعناه
 كذا عزمات السائرین لطيبة ... رعى الله عزمًا للحبيب عزمناه

¹ رواه الطبراني في الكبير (812)، والبداية والنهاية (48/5).

² رواه أحمد (12026)، والنسائي في الكبرى (8294).

وكم جبل جزنا ورمل وحاجز ... والله كم واد وشعب عبرناه
 ترنخنا الأشواق نحو محمد ... فنسري ولا ندري بما قد سريناه
 ولما بدا جزع العقيق رأيتنا ... نشاوى سكارى فارحين برؤياه
 شمنا نسيماً جاء من نحو طيبة ... فأهلاً وسهلاً يا نسيماً شمناه
 فقد ملئت منا القلوب مسرة ... وأي سرور مثل ما قد سررناه
 فوا عجباه كيف قرّت عيوننا ... وقد أيقنت أن الحبيب أتينا
 ولقياه منا بعد بُعدٍ تقاربت ... فوالله لا لقياً تعادل لقياه
 وصلنا إليه واتصلنا بقربه ... فله ما أحلى وصولاً وصلناه

﴿ فضل المدينة النبوية ﴾

ربّ لك الحمد.. إنها مدينة رسول الله ﷺ.. إنها طيبة، بمجرد دخول
 المدينة يطيب قلب المؤمن ويشعر بطمأنينة عجيبة وكأنه السكينة تسكب
 في قلبي وعلى قلبي حتى يُشرها! شعور يتحدث به كل من زار المدينة من
 المؤمنين، يقول النبي ﷺ: "إن لله سمي المدينة؛ طابة"¹.

¹ رواه مسلم (1385).

مدينة سكن بها فؤاد رسول الله ﷺ بعد خوفٍ وفرار، فدعا لها:
 "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد!"¹، ولها نصيب من قول
 الله تعالى في بلده الحرام: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾² فصيدها آمن وشجرها
 آمن، يقول النبي ﷺ: "إن الله حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمتُ
 المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإن دعوت في صاعها ومُدّها بمثلي ما
 دعا به إبراهيم لأهل مكة"³، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان
 يقول: لو رأيت الطباء بالمدينة ترتع ما ذعرتهما، قال رسول الله ﷺ: "ما
 بين لابتيتها حرام"⁴.

مدينة محروسة مصونة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
 ﷺ: "على أنقاب⁵ المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال"⁶،
 عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: "... من أراد
 أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء"⁷، عن علي رضي
 الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "المدينة حرمٌ فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى

¹ رواه البخاري (1889)، ومسلم (1376).

² سورة آل عمران (97).

³ رواه البخاري (2129)، ومسلم (1360).

⁴ رواه البخاري (1873)، ومسلم (1372).

⁵ مداخلها.

⁶ رواه البخاري (1880)، ومسلم (1379).

⁷ رواه البخاري (1877)، ومسلم (1387).

محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً"¹، فتذكر أنك في حرم الله ﷻ، فالحسنات لها شأن عظيم، والسيئات لها خطر كبير، فإياك ومعصية الله والابتداع في دينه.

مدينة أكرم الله ساكنها خير كرامة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل، فإنني أشفع لمن يموت بها"²، وعن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ليالي الحرة فاستشاره بالجلء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك! لا أمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يصبر أحد على لأوائها"³ فيموت إلا كنت له شفيحاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً"⁴، ولهذا يقول النبي ﷺ فيمن رغب عنها: "المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه"⁵.

¹ رواه البخاري (1870)، ومسلم (1370).

² رواه الترمذي (3917)، وابن ماجه (3112)، والنسائي في الكبرى (4271)، وأحمد (5438).

³ شدتها

⁴ رواه مسلم (1374).

⁵ رواه مسلم (1363).

مدينة تحوي إليها أفئدة المؤمنين في كل زمان ومن كل مكان محبةً وإيماناً، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الإيمان ليأرز¹ إلى المدينة كما تأرز الحية² إلى جحرها"³، فأنت في مدينة سكنها صفوة الخلق.. وتحركوا فيها بإيمان واستقامة وإحسان، فليكن مقامك فيها على طاعة الله وذكره.

والإيمان هو سر القوة والنصر، فظهرت المدينة النبوية على القرى من حولها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أمرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"⁴، ومعنى (تأكل القرى): أي تفتح القرى بالغزاة الفاتحين، والهداة المصلحين. وانظر كيف فُتحت مكة أم القرى بجيش المهاجرين والأنصار، وكيف جُلبت كنوز كسرى وقيصر إلى المدينة النبوية، وخرج منها كثير من الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي ﷺ ينشرون نور الإسلام في مشارق ومغاربها.

¹ أي يجتمع وينضم، قل الخليل: والأرز شدة تلاحم وتلازم في كزازة وصلابة (العين 383/7)، قال ابن فارس: ناقة أرزة الفقارة إذا كانت شديدة متداخل بعضها في بعض (المقاييس 78/1)، فالتعبير النبوي بكلمة (يأرز) يوحي باجتماع الإيمان وقوته، وتقاليب حروف كلمة (أرز) يدل على ذلك، فيقال: (أرزه) قواه، و(الزئير) صوت الأسد وفيه قوة، و(الرزء) المصيبة وفيها شدة، والله أعلم.

² وجه الشبه السرعة؛ لأن الحية ليس لها رجل فهي تسرع إلى المأمن (الكوثر الجاري 238/4)

³ رواه البخاري (1876)، ومسلم (147).

⁴ رواه البخاري (1871)، ومسلم (1382).

ولا تزال المدينة تأكل القرى وتنير الأرض إلى قيام الساعة، يحدثنا النبي ﷺ عن الملحمة الكبرى آخر الزمان فيقول: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق¹، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ... فيفتتحون القسطنطينية"، ثم ينزل عيسى عليهم السلام ويقتل الدجال، ويفتتحون بيت المقدس².

❖ صلّ في هذ الوادي المبارك:

عن عبد لله بن عمر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة³، وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادي، وبات حتى يصبح"⁴، وإنما يفعل ذلك لبركة المكان كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: "أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة"⁵.

¹ موضعان ببلاد الشام قرب حلب

² رواه مسلم (2897).

³ يعني بذي الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة.

⁴ رواه البخاري (1533)، ومسلم (1257).

⁵ رواه البخاري (1534).

﴿﴾ زيارة مسجد رسول الله ﷺ:

أمشي بسكينة ووقار إلى مسجد رسول الله ﷺ.. أقترَب ثم أقترَب.. الشوق يحملني والمحبة تسوقني والهيبَة تلجمني.. هناك رسول الله.. هناك خليل الله.. هناك صفوة الله من خلقه ﷺ.. هناك من أحبه أشد من حيي لأمي وأبي وأهلي وولدي بل من نفسي، يقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"¹، هناك قدوتي وأسوتي في حياتي كلها.

أدخل إليه بقدمي اليمنى قائلاً: "اللهم افتح لي أبواب رحمتك"²، كم من الرحمات في مسجد رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"³.

وكم فيه من ذكريات تشوق القلب للقاء النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فكأنني برسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهم بينون المسجد، فيقطعون النخل، ويحملون اللبن، ويرتجزون مع النبي ﷺ:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة... فارحم الأنصار والمهاجرة

¹ رواه البخاري (15)، ومسلم (44).

² رواه مسلم (713).

³ رواه البخاري (1190)، ومسلم (1394).

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

وكأني ببلال رضي الله عنه يأذن (أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمداً رسول الله) وأنا الآن أسمعها بعد وفاة رسول الله ﷺ فأردها وأنا بجواره في مسجده.. الشهادة هنا لها طعم خاص ممزوجة بالشوق للقائه ﷺ.. ربّ جدد محبتي لرسولك محمد ﷺ في كل أذان، ولو تباعدت الأبدان والأزمان.. فالقرب قرب القلوب بالإيمان والإحسان.

وكأني بالصحابة رضي الله عنهم ينتظرون رسول الله ﷺ فيخرج من بيته فتقام الصلاة فيصلطون خلفه ويصلون.. يسمعون تلاوته ويخشعون ويبيكون ويتضرعون..

هنا كان يجلس النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم حوله ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾¹، وما أعظم أجرك إذا دخلت المسجد النبوي بنية طلب العلم أو تعليمه، وكان أبو بكر بن عبد الرحمن رحمه الله يقول: (من غدا أو راح إلى المسجد لا يريد غيره؛ ليتعلم خيراً أو يُعلِّمه، ثم رجع إلى بيته، كان كالمجاهد في سبيل الله، رجع غانماً)².

¹ سورة الجمعة (2).

² موطأ مالك (555) تحقيق الأعظمي.

(هذه خوخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه)¹ لوحة فوق باب غربي المسجد النبوي القديم على يسار باب السلام، شوقني لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكأني برسول الله ﷺ قد قام خطيباً في مرض موته، فقال: "إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر لا تبكي، إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر"²، وفي لفظ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر"³.

الروضة الشريفة: ﴿﴾

أتقدم في مسجده ﷺ حتى أصل إلى روضة من رياض الجنة.. نعم روضة حقيقية من رياض الجنة، يقول الصادق المصدوق ﷺ: "ما بين بيتي

¹ قال ابن حجر رحمه الله: الخوخة باب صغير قد يكون بمصرع وقد لا يكون، وإنما أصلها فتح في حائط (فتح الباري 558/1)، وكانت خوخة أبي بكر رضي الله عنه غربي المسجد قريب المنبر، ثم كلما زيد في توسعة المسجد نقلت وجعلت في محاذة مكانها الأول (تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس: 144).

² رواه البخاري (466).

³ رواه البخاري (467).

ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي¹، أي روضة هذه!
كل رياض الجنة كرام، أفيهب الله ﷻ للخليله محمد ﷺ روضة عامة من رياض
الجنة؟ إنها هدية من الله، والمهدى له رسول الله ﷺ³.

ربّ ما أكرمك.. أيّ مقام رفعتنا حين أدخلتنا روضة من رياض الجنة،
ونحن على الأرض! وأي كرامة أكرمتنا حين خصصتنا ببقعة أكرمت بها
رسولك ﷺ في الجنة؟! ربّ كما رزقتنا زيارة روضته في الدنيا، فأنعم علينا
بزيارته في الجنة، ومرافقته فيها ﷺ.

ربّ.. أيّ يقين وقرب أشعر به ههنا؟! كم شوقتنا حين أنزلت لنا في
الأرض آثارًا من الجنة؟! هنالك في بيتك حجر نزل من الجنة، ولكن ههنا
روضة كاملة من الجنة! ثم قربتني إليك وأدخلتني روضة نبيك ﷺ وهي
المقام الأعلى في الجنة.. ربّ عملي لا يُبلغني فأنا العبد المسيء وأنت
الرب الكريم، وقد قضيت بأن المرء مع من أحب، فاللهم إني أشهدك أني
أحب رسولك محمدًا ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فأرجو أن أكون
معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم.

¹ رجح ابن حجر رحمه الله أن معناه أن المنبر يُنقل يوم القيامة فينصب على الحوض، قال ويؤيده حديث
: "إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة" وقيل: إن منبره بعينه فوق حوضه (فتح الباري 4/100).

² رواه البخاري (1196)، ومسلم (1391).

³ انظر الوفاة (58).

أصلي في الروضة الشريفة ما تيسر لي صلاة خاشعة مُحسنًا فيها،
فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فأنا في محل القرب والرحمة.. في روضة
من رياض الجنة.

والروضة الشريفة روضة من رياض الجنة بكل معانيها، فكم جلس فيها
الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ مجالس العلم والذكر التي هي جنة
الدنيا الحقيقية، كما قال النبي ﷺ لأصحابه: "إذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا" قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: "حلق الذكر"¹.

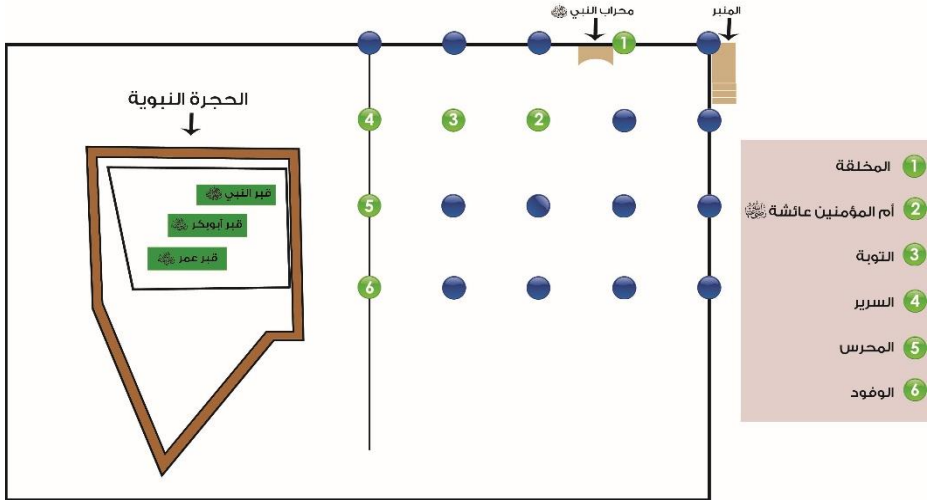
وفي مكان هذا المنبر كان يخطب رسول الله ﷺ على جذع نخلة، فقام
ذات جمعة على منبر صنع له، فحنّ الجذع إلى رسول الله ﷺ وصاح
صياح الصبي حتى كادت تنشق، فضمها رسول الله ﷺ إليه وجعلت تن
أنين الصبي الذي يُسكّت حتى استقرت²، وما أحسن ما قاله الحسن
البصري رحمه الله: (يا معشر المسلمين الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ
شوقًا إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحقُّ أن يشتاقوا إليه)!!³.

¹ رواه الترمذي (3510)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث ثابت عن أنس.

² رواه البخاري (2095).

³ دلائل النبوة للبيهقي (559/2).

أقلبُ بصري في الروضة الشريفة، وإذا بأسطوانات قد كتبت عليها
أسماء متنوعة¹، يتشوف القلب لمعرفة ذكياتها، فالمرء إذا أحب شيئاً،
أحب كل ما يتعلق به:



1. الأسطوانة المخلفة:

هي الأسطوانة اللاصقة بالمحراب النبوي عن يمينه لمن استقبل القبلة،
وسُميت بالمخلفة؛ لأنها كانت تُطيب بالخلوق وهو الطيب، وعن يزيد بن
أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع، فيصلي عند الأسطوانة
التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، إني أراك تتحرى الصلاة عند
هذه الأسطوانة؟ قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها²، وعن

¹ انظر تاريخ المسجد النبوي الشريف لمحمد إلياس عبد الغني (123-132).

² رواه البخاري (502)، ومسلم (509).

مالك رحمه الله أنه سُئِلَ عن مسجد رسول الله ﷺ: أيّ المواضع أحب إليك الصلاة فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مصلاه¹، وأما المكتوبة فأول الصفوف².

ودع القلب يتمتع بأنسه مع رسول الله ﷺ، وهو يصلي في موضع، كان رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عنده.

2. أسطوانة عائشة رضي الله عنها (وتسمى أسطوانة القرعة، أو أسطوانة المهاجرين):

هي الأسطوانة الثالثة عن يسار المنبر لمن كان مستقبل القبلة، والثالثة من القبر، وقد ورد فيها حديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "إن في المسجد لبقعة، قبل هذه الأسطوانة، لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن يطير لهم قرعة"، فسئلت عنها فسكتت، ثم أخبرت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فصلى عندها³.

¹ وهو عند الأسطوانة

² وفاء الوفاء (1/280-281).

³ رواه الطبراني في الأوسط (862)، وقال: (لم يرو هذا الحديث عن هشام -ابن عروة- إلا ابنا المنذر -عبد الله ومحمد- تفرد به عتيق بن يعقوب)، ومحمد بن المنذر الأقرب أنه محمد بن المنذر بن الزبير بن العوام، قال ابن حبان: يروي المراسيل والمقاطيع، وهو أخو عبد الله بن المنذر (الثقات: 10621)، وقال في موضع آخر: ربما أخطأ (الثقات: 10804)، وهو من فضلاء أهل المدينة (طبقات ابن سعد 202/1)، وليس هو محمد بن المنذر بن عبيد الله الزبيري الذي قال فيه ابن حبان: لا يحل كتب حديثه

وروى الزبير بن حبيب، أن النبي ﷺ صلى إليها المكتوبة، بضع عشرة ثم تقدم إلى مصلاه اليوم، وكان يجعلها خلف ظهره، وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، وأن المهاجرين كانوا يجتمعون عندها¹.

3. أسطوانة أبي لبابة رضي الله عنه (وتسمى أسطوانة التوبة):

وهي الأسطوانة الرابعة من المنبر، والثانية من القبر.

لما اشتد الحصار على بني قريظة الذين خانوا المسلمين يوم الأحزاب، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة رفاعة بن عبد المنذر رضي الله عنه -لأنه من الأوس وكانوا حلفاء الأوس- فأشار إليهم بيده إلى حلقه -أي أنه الذبح-، يقول أبو لبابة رضي الله عنه: فوالله ما زالت قدمائي، حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله! فانطلق إلى سارية من سواربي المسجد -وهي هذه الأسطوانة- فربط نفسه بها، وقال:

إلا على سبيل الاعتبار (المجروحين: 938)، وقد فرق بينهما البخاري في تاريخه (770-771)، خلافاً لما قرره ابن حجر في لسان الميزان (7442)، وعتيق بن يعقوب بن الصديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير بن العوام، قال الدار قطني: ثقة (موسوعة أقوال الدار قطني 337/2)، فنفردهما في رواية هذا الخبر مما قد يحتمل؛ لأنهما يرويان حادثة خاصة بآل بيتهما -آل الزبير بن العوام-.

¹ الدرر الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار (106).

والله لا أحلُّ نفسي، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليّ،
فمكث تسعة أيام حتى كان يحزُّ مغشيًا عليه، فأنزل الله توبته عليه¹.

قلوب حية يقظة! ما أعظمها من توبة نصوح!

4. أسطوانة السرير:

وهي الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم عن يسار أسطوانة التوبة، لمن
استقبل القبلة؛ وسميت بذلك لأن سرير النبي ﷺ كان يوضع في هذا
المحل أثناء اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، وكان النبي
ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف، فترجله عائشة رضي الله عنها
وهي في حجرتها، مما يدل على قرب هذه الأسطوانة من الحجرة الشريفة،
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا اعتكف طرَحَ له
فراشه أو يوضع له سيره وراء أسطوانة التوبة².

5. أسطوانة المحرس: (وتسمى أسطوانة علي رضي الله عنه):

وهي الأسطوانة اللاصقة بالشباك، وتقع خلف أسطوانة السرير،
وسُميت بالمحرس؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجلسون عندها
لحراسة النبي ﷺ، ويقال لها: أسطوانة علي رضي الله عنه؛ لأن مصلاه

¹ سيرة ابن هشام (237/2)، وأسد الغابة (66/2).

² رواه ابن ماجه (1774).

كان إليها، ولما نزلت: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾¹، قال ﷺ: "لا تحرسوني، إن ربي قد عصمني"².

6. أسطوانة الوفود:

وهي الأسطوانة اللاصقة بالشباك، وتقع خلف أسطوانة المحرس؛ وسميت بذلك لأن النبي ﷺ كان يجلس عندها للوفود إذا جاءته.

تنبيه: الأساطين الثلاث الأخيرة (السرير، والمحرس، والوفود) كل منها عبارة عن نصف أسطوانة؛ للدلالة على الأسطوانات الثلاث الموجودة داخل الشباك، والتي تقع بمحاذاتها مقرونة بها، وهناك أسطوانات أخرى داخل الحجرة الشريفة (كأسطوانة مربعة القبر، وأسطوانة التهجد) وهي غير ظاهرة للناس.

ربِّ لك الحمد.. فتحت على قلبي في هذه الروضة ما فتحت من أنوار القرب والإيمان، فبارك لي فيها، واجعلها أنوارًا باقية متزايدة حيث ما كنتُ في بيتي.. في مسجدي.. في صلاتي.. في عملي.. في حياتي كلها.. فمهما ابتعدت ببديني عن هذه الروضة فاجعل قلبي في رياض الجنة، يقول بعض السلف: (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)، ألا وهي رياض الطاعة والإيمان ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ

¹ سورة المائدة (67).

² رواه الطبري (468/10)، برقم (12273).

أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۭ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾¹.

ثم أخرج من الروضة الشريفة متجهاً إلى قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.. وكيف يطيق القلب الخروج من الجنة؟! كيف يتحمل ألم الفراق وقد ذاق ما ذاق؟! كم بكى الأيون -آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام- حين أخرجنا من الجنة! رب.. إنما هي رحمتك فأدخلني الجنة.. اللهم أدخلني الجنة.. اللهم أدخلني الجنة، يقول النبي ﷺ: "من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار"².

🕌 زيارة قبر النبي ﷺ، والسلام عليه:

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه)، ثم يأخذ وجهه، وكان إذا قدم من سفرٍ يفعل ذلك قبل أن يدخل منزله³.

¹ سورة النحل (97).

² رواه الترمذي (2572)، ورواه النسائي (5512)، وابن ماجه (4340)، وأحمد (12585).

³ مصنف ابن أبي شيبة (11793).

أقف لحظات أمام قبر رسول الله ﷺ للسلام عليه، والقلب قد نزل به ما نزل.. يحزن ويتصدع إن تذكر وفاته.. (زار أيوب السخيتاني رحمه الله قبر النبي ﷺ فجعل ظهره مما يلي القبلة، ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير مُتباكٍ)¹، يسكن ويشتاق إن تذكر لقاءه.. يفرح ويستبشر إن علم أن روحه ﷺ تُرد إليه حتى يردَّ السلام..

الأمر جليل.. أقف أمام أكرم خلق الله.. صفوة خلق الله.. أقف أمام أحبَّ رسل الله إلى الله.. إمام المرسلين.. خاتم النبيين.. رسول الله للعالمين.. وكأني برسول الله ﷺ أمامي.. لو كان بين أظهرنا لما تمالكثُ نفسي.. أعانقه وأقبل وجهه ويديه بأبي هو وأمي.. كأنَّ (وجهه القمر يتلأأ ليلة البدر)²، بل يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه: (فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر)³، (من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ)⁴.. يقول أنس رضي الله عنه: (ولا مسست خزةً ولا حريرةً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكّة ولا عبيرةً أطيب رائحة من رائحة

¹ وفاء الوفاء (198/4).

² الشمائل المحمدية (7).

³ الشمائل المحمدية (9).

⁴ الشمائل المحمدية (6).

رسول الله ﷺ¹، (بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً)² ولو كشف لنا
 عمّا وراء الأسوار والحجرة الشريفة لرأينا عجباً.. وهذا السمهودي رحمه
 الله تشرف بدخول الحجرة الشريفة سنة (878هـ) عندما أُعيد بناء بعض
 جدرانها يقول: (سألت الله أن يمنحني حسن الأدب في ذلك المحل
 العظيم، ويلهمني ما يستحقه من الإجلال والتعظيم... دخلت من مؤخر
 الحجرة الشريفة ولم أتجاوز ذلك المحل، فشممت رائحة ما شممت في
 عمري رائحة أطيب منها، ثم سلمت بوجل وحياء على أطيب الأنبياء، ثم
 على ضجيعيه خلاصة الأصفياء... فلما قضيت من ذلك الوطر، متعت
 عيني من تلك الساحة بالنظر؛ لأتحف بوصفها المشتاقين، وأنشر من
 طيب أخبارها في المحبين، فتأملت الحجرة الشريفة فإذا هي أرض مستوية،
 فتناولت من تراهما بيدي، فإذا بها نداوة وحصباء... ولم أجد للقبور
 الشريفة أثرًا، غير أن بأوسط الحجرة موضعًا فيه ارتفاع يسير جدًّا، ولعله
 قبر عمر رضي الله عنه)³.

أقف تجاه القبر وقد امتلأ القلب بحبه والشوق إليه فأفرغ ذلكم في
 السلام عليه بأدب وخفض صوت وكأني برسول الله ﷺ مضطجع في قبره
 على جنبه الأيمن، مستقبلاً بوجهه الأنور وجبينه الأزهر القبلة الشريفة،

¹ رواه البخاري (1973)، ومسلم (2330).

² رواه البخاري (3667).

³ وفاء الوفاء (170-169/2).

فأقول: (السلام عليك يا رسول الله) وإن أثنيت عليه بما تيسر فلا بأس
 كأن تقول: (السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من
 خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت
 الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده،
 فجزاك الله عنا أفضل ما جزى رسولاً عن أمته، وصلى الله عليك وسلم
 تسليماً كثيراً)¹، وإذا بروحه الشريفة تُردّ عليه حتى يردّ علي السلام.

ربِّ لك الحمد.. جعلتنا نشعر بكمال القرب من نبينا ﷺ ونحن
 نُسلم عليه، يقول النبي ﷺ: "ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله علي
 روعي حتى أورد عليه السلام"²، وكم يهبُّ على القلب من نسيم القرب
 والأنس برسول الله ﷺ كلما لهجت بالصلاة والسلام عليه في أيّ مكان
 كنت.. يقول النبي ﷺ: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي
 السلام"³.

¹ التحقيق والإيضاح لابن باز (90).

² رواه أبو داود (2041).

³ رواه النسائي (1282)، وأحمد (3666).

﴿ قدر الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ﴾:

أمرٌ في كتاب الله فريدٌ في سياقه لا مثيل.. هل ترى في القرآن أمرًا من أوامر الله ﷻ تقدمه اتصاف الله ﷻ به وملائكته؟ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾¹، فكيف لا نلهج بالصلاة والسلام عليه ﷺ؟!

وماذا تغني صلاتنا مع صلاة الله تعالى وملائكته! هنا تنكشف لنا حقيقة الصلاة على النبي ﷺ، فأبي رحمة وتشريف لما أمرتنا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.. نصلي على رسولنا ﷺ موافقة لرب العالمين واقتداء بالملائكة الطاهرين، فأبيّ حال أعظم من حال أوافق فيه ربي ﷻ وملائكته عليهم السلام!

نصلي على رسولنا ﷺ تعبيراً عن محبتنا له، فرسولنا محمد ﷺ هو سبب كل خير لنا في الدنيا والآخرة.. هو الذي عرفنا على الله تعالى ودلنا على الطريق الموصل إليه.. وعلما القرآن والسنة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ءَ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾².

¹ سورة الأحزاب (56).

² سورة آل عمران (164).

ومهما لهجت بالصلاة عليه فلن أوفي شكر نعمته ﷺ، فما لنا إلا أن نسأل ربنا أن يصلي عليه، دون أن أصلي عليه بنفسي، فتأمل في صيغة الصلاة على النبي ﷺ نقول: (اللهم صلّ على محمد...)، ولا تقول: (أصلي على محمد...) اعترافًا بالعجز عن القيام بهذا الأمر العظيم.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: قولوا: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"¹، يقول أبو العالية رحمه الله: (صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء)²، وثناء الله على رسوله ﷺ يلزم منه؛ أن يرحمه الله ويحفظه وينصره ويحفظ سنته ويعلي شريعته، و(آل محمد) يدخل فيهم أهله وأتباعه إلى يوم القيامة، فالدعاء لهم بأن يُثني الله عليهم وبارك فيهم يلزم منه أيضًا أن

¹ رواه البخاري (3370)، ومسلم (406).

² رواه البخاري معلقاً -باب قوله-: {إن الله وملائكته يصلون على النبي}.

يرحمهم الله ويحفظهم وينصرهم و... وبهذا يتبين أن الصلاة على النبي ﷺ دعاء جامع بكل خير للإسلام وأهله في الدنيا والآخرة، فكلما صليت على النبي ﷺ تجددت محبتي للنبي ﷺ وقويت عزيمتي على اتباع سنته ونشرها، وامتلاً قلبي من حب الخير لأمته.

ربِّ ما أرحمك.. كم جعلت لنا من البركات في الصلاة على النبي ﷺ حتى سجد نبينا ﷺ شكراً حين بُشِّرَ بها.. رأى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقد خرَّ ساجداً فأطال السجود، فلما رفع رأسه قال: يا رسول الله سجدت سجدة خشيتُ أن يكون الله ﷻ قد قبض نفسك فيها!!، فقال ﷺ: "إن جبريل عليه السلام أتاني فبشرني فقال: إن الله ﷻ يقول: من صلى عليك صليْتُ عليه، ومن سلم عليك سلمتُ عليه، فسجدت لله ﷻ شكراً"¹.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً"²، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات"³، وعن عامر بن

¹ رواه أحمد (1664).

² رواه مسلم (408).

³ رواه النسائي (1297).

ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: "من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليّ، فليقل عبداً من ذلك أو ليكثر"¹، وما ظنك بعبد يصلي عليه ربه تعالى وملائكته! قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾²، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول: إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي³؟ فقال: ما شئت، قال: قلت الربع، قال: ما شئت، فإن شئت فهو خير لك، قال: قلت: النصف، قال: ما شئت، فإن شئت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين، قال: ما شئت، فإن شئت فهو خير لك، قال: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذن تكفي همك، ويغفر لك ذنبك"⁴.

◀ السلام على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

وبعد السلام على رسول الله ﷺ أخطو خطوة عن يميني، فأقف أمام قبر أبي بكر رضي الله عنه، وكأني بأبي بكر رضي الله عنه مضطجع في قبره على جنبه الأيمن، ورأسه حذو منكب النبي ﷺ، مستقبل بوجهه القبلة، فأسلم عليه: (السلام عليك يا أبا بكر ورحمة الله وبركاته)، وإن

¹ رواه أحمد (15680).

² سورة الأحزاب (44).

³ أي دعائي

⁴ رواه الترمذي (2457)، وقال: حديث حسن.

أثنت عليه بما تيسر فلا بأس، كأن تقول: (ثاني اثنين إذ هما في الغار.. رضي الله عنك وجزاك الله عنا وعن الإسلام خير جزاء)، ثم أخطو خطوة عن يمني فأقف أمام قبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكأني بعمر رضي الله عنه مضطجع في قبره على جنبه الأيمن، ورأسه حذو منكب أبي بكر رضي الله عنه، مستقبل بوجهه القبلة، فأسلم عليه: (السلام عليك يا عمر ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك وجزاك الله عنا وعن الإسلام خير جزاء) ونحوه.

أيّ كرامة من الله تعالى على صاحبي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أكبر من هذه! أن ينعم الله تعالى عليهما بملازمة رسول الله ﷺ في حياته، ثم يجعلهما في جواره بعد مماته، يقول علي رضي الله عنه وهو يبكي على عمر رضي الله عنه بعد موته: (ما خلّفت أحداً أحبّ إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظنك أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)¹.

¹ رواه البخاري (3685)، ومسلم (2389).

أشعر بهيبة وكأني واقف أمام جبلين عظيمين.. يقول عمر رضي الله عنه: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم)¹، ويقول النبي ﷺ: "لو كان من بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب"²، حفظ الله بهما الدين ورفعته.. يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾³، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)⁴، أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثبت الله به قلوب المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، وأول من جمع القرآن الكريم، وكسر الله به شوكة المرتدين، وعمر الفاروق رضي الله عنه قضى على الدولتين العظيمةتين فارس والروم وفتح بيت المقدس.

يقول النبي ﷺ: "إن أهل الدرجات العلى ليرون من فوقهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعمنا"⁵.. هما قدوتي بعد رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"⁶.. فضائلهما كثيرة جلييلة.. وإن قلب كل مؤمن لينساق إلى

¹ فضائل الصحابة لأحمد (653).

² رواه الترمذي (3686).

³ سورة التوبة (40).

⁴ رواه البخاري (3684).

⁵ رواه أبو داود (3987)، والترمذي (3658)، وهذا لفظه.

⁶ رواه الترمذي (3662)، وابن ماجه (97).

حبهما ويشتاق للقائهما، يقول محمد بن سيرين رحمه الله: (ما أظن رجلاً ينتقص أبا بكر وعمر يحب النبي ﷺ) ¹.. اللهم إني أشهدك أي أحب رسولك ﷺ وأبا بكر وعمر وسائر الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فاجمعي بهم يا أرحم الراحمين.

🕋 زيارة مسجد قباء:

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ ²، لما وصل النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه المدينة "صاح يهودي بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم ³ الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشر ليلة، وأسس المسجد الذي أسس

¹ رواه الترمذي (3685).

² سورة التوبة (108).

³ حظكم

على التقوى¹، وصلى فيه رسول الله ﷺ²، ثم سار رسول الله ﷺ إلى وسط المدينة.

ربِّ ما أكرمك! هذا مسجد قباء أول مسجد أُسس في الإسلام، له السبق والأولية، فكيف يُنسى! حفظ الله مكانته في قلوب المسلمين فجعل في زيارته الأجر العظيم، فما من زائر للمدينة النبوية إلا ويوره ويصلي فيه، عن سهيل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه، كان له عدل عمرة"³، وفي لفظ: "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة"⁴، ولذلك كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا فيصلي فيه ركعتين، وكان عبد الله بن عمر يفعلُه.⁵

ربِّ.. ها أنا في أول مسجد أُسس في الإسلام، سرُّ فضله السبق والأولية، وإذا شرفَ المكان بالسبق في إقامة العبادة فيه باختيار الله

¹ أي مسجد قباء

² رواه البخاري معلقًا باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

³ رواه النسائي (699).

⁴ ابن ماجه (1412).

⁵ رواه البخاري (1191)، ومسلم (1399).

وحده، فكيف بمن سبق إلى الله تعالى طوعاً برحمة الله وحده.. فليلهم
اجعلني من السابقين المقربين ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾¹.

◻ أول عمل قام به رسول الله ﷺ:

عندما أقام رسول الله ﷺ ببني عمرو بن عوف بنى مسجد قباء، ثم
أول عمل قام به لما دخل وسط المدينة بناء المسجد النبوي، فهذه الزيارة
الكريمة تربط قلبي بالمسجد، والمرأة يرتبط قلبها بمسجد بيتها.

المساجد بيوت الله ويكفيها شرفاً أن الله أضافها لنفسه فقال: ﴿وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾²، المساجد أحبُّ البقاع إلى الله،
يقول النبي ﷺ: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله
أسواقها"³، في المساجد يتجلى نور الله تعالى.. نور الإيمان ﴿اللَّهُ نُورٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ وبعد أن ضرب مثلاً لنور الإيمان في قلب المؤمن قال
مبيناً محل هذا النور ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ
فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾⁵ رجالاً لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾⁵، فالمساجد هي

¹ سورة طه (84).

² سورة الجن (18).

³ رواه مسلم (671).

⁴ سورة النور (35).

⁵ سورة النور (36-37).

منارات الإيمان في الأرض تصدع مآذنها بدعوة التوحيد، وينطلق منها العلماء المصلحون.

ومن أوضح علامات محبة الله تعالى أن يأنس القلب بطول المقام في المسجد.. يقول النبي ﷺ: "ما توطن رجل المسجد للصلاة والذكر إلا تبشبه الله تعالى إليه كما يتشبه أهل الغائب إذا قدم عليهم"¹.

وفي مسجد قباء رجالٌ مدحهم الله تعالى فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾²، وقد نزلت في أهل قباء كانوا يستنجون بالماء³، والطهارة هنا تشمل طهارة الظاهر والباطن، وانظر إلى الوضوء كيف يُطهر أعضاءك ظاهرًا من الحدث والنجاسات، وباطنًا من السيئات.

¹ رواه ابن ماجه (800)، والبش: هو فرح الصديق بصديقه.

² سورة التوبة (108).

³ رواه أبو داود (44)، والترمذي (3357)، وابن ماجه (355).

◈ هذا أحد.. يحبنا ونحبه:

يقول الصادق المصدوق عليه السلام: "أحد جبل يحبنا ونحبه"¹، أين شعور المحبة من جبلٍ قاسٍ شديدٍ.. إنها قدرة الله.. إنها رابطة الإيمان.. فهو لا يحب إلا المؤمنين.

وكأني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد ارتقوا جبل أحد، فاهتز محبة وإجلالاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اثبت أحد فإنما عليك رسول وصديق وشهيدان"².. جبل أحد نحبه ولو كان جمادًا؛ لتسبيحه الله ولحبهته لعباد الله.. ما أجملها من زيارة علمتني إخلاص المحبة لله وفي الله ولو كانت لجبل، فأحب لله، وأبغض لله، وأعطي لله، وأمنع لله، أرجو الله في الناس فأحسن وأعفو، وأخاف الله فيهم فلا أظلم ولا أقسو، أدفع السيئة بالتي هي أحسن ابتغاء وجه الله، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"³.

¹ رواه البخاري (1481)، ومسلم (1392).

² رواه البخاري (3675).

³ رواه أبو داود (4681).

◉ زيارة شهداء أحد:

هناك ذكريات أعظم وأجلّ أسفل الجبل! ذكريات شهداء أحد، الذين كانوا إذا ذكرهم النبي ﷺ قال: "والله لوددت أني غودرت مع أصحابي نحس¹ الجبل"²، وصلى عليهم رسول الله ﷺ بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات³.

أقف عند قبورهم وأسلم عليهم "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية"⁴.

هذه أرض المعركة.. هذا جبل أحد.. وهنا جبل الرماة.. وكأني بالنبي ﷺ يسير مع أصحابه رضي الله عنهم إلى أحد⁵، فيستعرض الجيش، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني)⁶، ما أعظمها من همة! شاب عمره أربع عشرة سنة يريد أن

¹ أي سفح الجبل.

² رواه أحمد (15026).

³ رواه البخاري (4042)، ومسلم (2296).

⁴ رواه مسلم (974)، (975).

⁵ تفاصيل غزوة أحد مستفاد من البداية والنهاية (9/4)، واللؤلؤ المكثون (576/2).

⁶ رواه البخاري (4097)، ومسلم (1868).

ينصر دين الله، أين الشباب والفتيات اليوم عن نصر الدين بالعلم الشرعي والدعوة إلى الله.

وبدأ الابتلاء بانسحاب ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين؛ لتوهين صفوف المجاهدين، ولكن الله ولي المؤمنين ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾¹، ثم نزل الجيش عند جبل أحد، ظهر الجيش للجبل، وخمسون رامياً - أميرهم عبد الله بن جبير - على جبل الرماة.. وعهد إليهم رسول الله ﷺ أن "احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا" وأُحكمت الخطة، ونُظمت الصفوف، وتلاحم الجيشان..

حامل راية المسلمين **مصعب بن عمير** رضي الله عنه داعية الإسلام الأول.. وكأني بأبي **دُجانة** رضي الله عنه وهو مُعتصب بعصابة حمراء، قد أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ بحقه، يفلق به رؤوس المشركين.. وهذا **عمرو بن الجموح** رضي الله عنه يقول: (إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة).. وهذا **حنظلة بن أبي عامر** قد انخلع من أحضان زوجته - وهو حديث عهد بعرس - يجاهد في سبيل الله.. ها هو **حمزة بن عبد**

¹ سورة آل عمران (122).

المطلب عم رسول الله ﷺ يحصدُ المشركين حصداً حتى قتل حامل راية المشركين، فتتابع على حملها تسعة من المشركين فقتلوا جميعاً!!

وانتصر المسلمون نصرًا لا مثيل له، وولى الكفار مدبرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ أَخَذْتُمُ بِأَيْدِيهِمْ¹﴾، يقول وحشي: (رأيت حمزة كالجمل الأورق يقتل المشركين ما يقوم له شيء، وانتهزت منه غفلة، فرميت حربتي فوقعت في أحشائه حتى خرجت بين رجليه) فاستشهد رضي الله عنه، واستشهد مصعب بن عمير حامل راية المسلمين، فحملها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعده.

وفي لحظة يسيرة من لحظات حب الدنيا، انقلب الأمر رأسًا على عقب! نزل الرماة من الجبل يقولون: "الغنيمة .. الغنيمة" فذكّرهم أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه بعهد رسول الله ﷺ إليهم، فلم يسمعوا له ونزلوا إلا قليلًا، فاستدار خالد بن الوليد في نفر من المشركين، فصعدوا جبل الرماة، وقتلوا عبد الله بن جبير ومن معه رضي الله عنهم، وصاح بالمشركين فرجعوا وطوّقوا جيش المسلمين.. فطار صوابهم ودخل بعضهم في بعض ﴿حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ² مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ²﴾، وعظم الكرب..

¹ سورة آل عمران (152).

² سورة آل عمران (152).

واشتد الخطب حين أُشيعَ بأن رسول الله ﷺ قد قُتِلَ.. حتى فرَّ بعض الصحابة رضي الله عنهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾¹، وجعل رسول الله ﷺ يقول: "إني عباد الله.. إليَّ عباد الله" ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُودَنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا بَعِيرًا لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾².

وثبت أكثر الصحابة رضي الله عنهم.. فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه يقتحم صفوف المشركين، فلقبه سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له: أين؟! قال: (واهِ لريح الجنة، إني لأجد ريح الجنة دون أحد!) فاستشهد وبه بضع وثمانون طعنة، فما عُرف حتى عرفته أخته بناناه!

وطعن سعد بن الربيع رضي الله عنه أكثر من سبعين طعنة، فاستشهد وهو يقول لأخ معه: (إني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن حُلِصَ إلى رسول الله ﷺ).

وانحنى أبو دُجانة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ كالدرع له، فصار النبل يقع في ظهره.. ودافعت أم عمارة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ

¹ سورة آل عمران (144).

² سورة آل عمران (153).

حتى جُرِحَتْ اثني عشر جرحًا، وضربها ابن قمئة على عاتقها فجرحها جرحًا غزيرًا، وجعل رسول الله ﷺ يقول لها: "من يطبق ما تطبقين يا أم عمارة!" .. واستشهد سبعة من الأنصار رضي الله عنهم حول رسول الله ﷺ واحدًا واحدًا.

ولم يبق قريبًا من رسول الله ﷺ بعد مقتل هؤلاء الأنصار غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أمام النبي ﷺ يرمي المشركين، ويقول له النبي ﷺ: "ارم سعد فداك أبي وأمي" وقاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه، فقال: (حَسَنٌ) فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت: باسم الله، لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون"، وجرح في جسده نحو خمسٍ وثلاثين جرحًا.

وتأخر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعلي وغيرهم رضي الله عنهم حتى وصلوا شعب جبل أحد، فأراد رسول الله ﷺ أن يعلو صخرة فما استطاع، وكان قد لبس درعين، فجلس طلحة تحته، وحمل رسول الله ﷺ حتى جعله على الصخرة، وتكلفت استقامة المشي تأدبًا مع رسول الله ﷺ، وكان قد عرج فعدت رجله صحيحه، فقال النبي ﷺ: "أوجب

طلحة"1، فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد، قال: (ذلك اليوم كله لطلحة!!).

وكسرت رباعية رسول الله ﷺ، وشجَّ وجهه الشريف حتى دخلت خلقتا المغفر في وجنتيه، فنزعهما أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه بثنيتيه حتى كُسرتا فكان أحسن الناس هتمًا²، وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم عن وجه أبيها ﷺ فلما رأت الماء لا يزيدُه إلا نزفًا أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

أيس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم، وخافوا أن تكون الجولة الثالثة عليهم، فولوا الأدبار راجعين، فنزل رسول الله ﷺ من الجبل، وصف أصحابه رضي الله عنهم صفوفًا ودعا بهم، ثم قاموا يتفقدون شهداءهم، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة رضي الله عنه وقد مُثِّل به وشقَّ بطنه وأكلت كبده! فبكى عليه.. ومرَّ بمنظلة رضي الله عنه فقال: "إن صاحبكم تُغيِّبُه الملائكة"، ومرَّ على عمرو بن الجموح فقال: "كأنِّي أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة"، ورؤي عبد الله بن جحش -ابن عمه رسول الله ﷺ- وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط

¹ أي وجبت له الجنة.

² الهتم: انكسار الثنايا من أصولها.

قد مُثِّلَ به.. وقال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما عندما بكى على أبيه: "لاتبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفِعَ"، وقال: "يا جابر أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك!... ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كيفاً، وقال يا عبدي تمنى علي أعطك، قال: ياربِّ تُحِينِي وأُقتل فيك ثانية، فقال: إنه سبق منهم أنهم لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾¹.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لما أُصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر تردُّ أنهار الجنة؛ تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

¹ سورة آل عمران (169).

يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾¹.

أيُّ محبة ذاقها هؤلاء الشهداء.. يبيعون أرواحهم لله تعالى ثم أمنية
أحدهم أن يُردَّ إلى الدنيا مرارًا ليُقتل في سبيل الله.. فلتقدم روحك لله إذا
رُفعت راية الجهاد الحق، وأمامك بابٌ مفتوح لتبرهن صدق محبتك لله،
فجاهد لله تعالى بعلمك ووقتك وجهدك ومالك في سبيل الله، حتى
تكون حياتك كلها لله، يقول النبي ﷺ: "من سأل الله تعالى الشهادة
بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"².

زيارة مقبرة البقيع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج إلى البقيع
فيدعو لهم قالت: فسألته عن ذلك فقال: "إني أُمرت أن أدعو لهم"³،
وكان رسول الله ﷺ - كلما كانت ليلتها- يخرج من آخر الليل إلى
البقيع، يقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما تُوعدون غدًا
مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد"⁴.

¹ سورة آل عمران (169-171).

² رواه مسلم (1909).

³ رواه أحمد (26148).

⁴ رواه مسلم (974).

هنا دُفن صفوة الخلق بعد الرسل.. أطهر الأجساد.. أصحاب رسول الله ﷺ.. هنا عثمان بن عفان.. عبد الرحمن بن عوف.. سعد بن أبي وقاص.. سعيد بن زيد.. صهيب الرومي.. زيد بن ثابت.. سعد بن معاذ.. عبد الله بن مسعود.. أبو هريرة.. أسامة بن زيد.. أبو سفيان.. عثمان بن مظعون.. وغيرهم رضي الله عنهم.. هنا أمنا عائشة.. وسودة.. وحفصة.. وأم سلمة.. وغيرهن من أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن.. هنا بناته رضي الله عنهن.. هنا أئمة الإسلام من التابعين ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

أمشي بين القبور والقلب يطوف بأولئك الأخيار الأبرار.. أتقرب إلى الله تعالى بحبهم، فحبهم رضي الله عنهم أعظم وسيلة إلى الدرجات العلاء، والمرء مع من أحب.. يكاد الشوق يحملني إليهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹.. أتمنى أن أموت بالمدينة النبوية وأُدفن في أرض دُفن فيها النبي ﷺ وأصحابه الأطهار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل، فإني أشفع لمن يموت بها"²، فكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني

¹ سورة الحشر (10).

² رواه الترمذي (3917)، وابن ماجه (3112)، والنسائي في الكبرى (4271)، وأحمد (5438).

شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ¹، فسمع الله دعاءه
وحقق رجاءه.. وهذه أمنية الصالحين في كل زمان.

هذه القبور واعظٌ صامتٌ للقلوب.. يقول النبي ﷺ: "قد كنت
نهيتمكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة"²، هذه القبور فيها
الصغير والكبير.. الرجل والمرأة.. العالم والجاهل.. الغني والفقير.. المؤمن
والعاصي.. ذهبوا وماتوا جميعًا وكلنا سيموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهٌ
رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾³.

يا نفس الموت يأتي بغتة.. كم سمعت بعد الصلوات (الصلاة على
الأموات.. الصلاة على الأطفال يرحمكم الله).. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁴.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:
"كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل"، وكان ابن عمر يقول: (إذا

¹ رواه البخاري (1890).

² رواه الترمذي (1054)، والنسائي (4430)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

³ سورة الرحمن (26-27).

⁴ سورة لقمان (34).

أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك¹.

يا نفس البدار البدار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾² يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: مر بي النبي ﷺ وأنا أطيِّن حائطاً لي أنا وأمِّي، فقال: "ما هذا يا عبد الله؟" فقلت: يا رسول الله خُصُّ لنا وهي فنحن نصلحه، فقال: "ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك"³.. يا نفس لو نزل بك الموت الآن فماذا تتمنين ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁴، ومرَّ أبو هريرة رضي الله عنه على قبر دُفِنَ حديثاً فقال: (ركعتان خفيفتان مما تحقرون أحبَّ إليه من بقية دنياكم)⁵.

¹ رواه البخاري (6416).

² سورة الحشر (18).

³ رواه أبو داود (5235).

⁴ سورة المؤمنون (99-100).

⁵ ابن أبي شيبه (7633)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط مرفوعاً (920)، وقال: (لم يرو هذا الحديث عن أبي مالك إلا حفص بن غياث، تفرد به حفص بن عبد الله)، وقال ابن صاعد: (هذا حديث غريب حسن)، (الزهدي لابن المبارك: 31).

هذه القبور ظواهرها تراب، وبواطنها نعيم أو عذاب فماذا أعددت لقبرك؟! يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى، حتى بلّ الثرى ثم قال: "يا إخواني، لمثل هذا فأعدوا"¹.

تنبهات لزائر المدينة النبوية:

مهما عظمت المحبة لرسول الله ﷺ، واشتعل الشوق للقائه، فليس الشأن أن تعبد الله كما تريد، وإنما الشأن كل الشأن أن تعبد الله كما يريد الله عز وجل، والله تعالى إنما يحب أن تعبدته كم شرع في سنة رسوله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾².

1. اعلم -رحمك الله- أن زيارة المدينة ليست من مناسك الحج، وقد رويت أحاديث لا تثبت فيمن حج ولم يزر قبر النبي ﷺ، كحديث: "من حج فلم يزرني، فقد جفاني"³، وحديث: "من زار قبري وجبت له

¹ رواه ابن ماجه (4195)، وأحمد (18601)، وقال الطبراني في الأوسط (2588): (لا يروى هذا الحديث عن البراء إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبدالله بن واقد)، وانظر السلسلة الصحيحة (1751).

² سورة آل عمران (31).

³ حديث موضوع، قاله الذهبي في الميزان (237/3)، والألباني في الضعيفة (45).

شفاعتي¹، ولكن يشقُّ على قلب المحب لرسول الله ﷺ أن يرجع إلى بلده دون هذه الزيارة الكريمة.

2. النبي ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُحب ويُتبع ﷺ، والعبادة من؛ دعاء واستغاثة وطلب مدد وكشف ضرر حقٍّ خالصٍ لله وحده ﷻ، فلا يُصرف لملك مُقرب ولا لنبى مُرسل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَلْمَسَجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾².

3. لا تضع يديك على صدرك كهيئة المصلي إذا وقفت أمام القبر للسلام، فإنه خضوعٌ وذُلٌّ لا ينبغي إلا لله وحده، ولم يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع نبينا ﷺ حيًّا ولا ميتًا.

4. تذكر قول عمر رضي الله عنه في الحجر الأسود: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك، ما قبلتك)³، وكذلك تقبيل جدران قبر النبي ﷺ ومسجده ومسحها، يقول الإمام النووي رحمه الله في ذلك: (ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة، فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف يُبتغى الفضل في مخالفة الصواب)⁴.

¹ حديث منكر، قاله البيهقي في شعب الإيمان (3862)، والألباني في الإرواء (1128).

² سورة الجن (18).

³ رواه البخاري (1597)، ومسلم (1270).

⁴ المجموع (275/8).

5. احذر من رفع الصوت والتراحم والإخلال بالأدب في المسجد النبوي، خاصة عند قبره ﷺ، وتأمل هذا المشهد.. عن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: اذهب وائتني بهذين، فجئته بهما فقال: من أنتما؟ -أو من أين أنتما؟-، قالوا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!¹، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعُضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾².

6. لا تقصد القبر لأجل الدعاء عنده، ولا تستقبله بالدعاء، فعن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه عن ذلك وقال: ألا أحدثك حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تتخذوا قبوري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم"³.

¹ رواه البخاري (470).

² سورة الحجرات (2-3).

³ رواه الضياء المقدسي في المختارة (428)، والحديث بدون القصة رواه أبو داود (2042)، وأحمد (8804) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

7. استقبال القبر من مكان بعيد للسلام، أقرب إلى الجفاء منه إلى الصفاء¹.

8. يُستحب لمن قدم المدينة النبوية من سفر أو خرج منها، أن يزور قبر النبي ﷺ وصاحبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى، ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال: (السلام عليكم يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه) ثم يأخذ وجهه، وكان إذا قدم من سفر يفعل ذلك قبل أن يدخل منزله²، ورحم الله الإمام مالك، فقد سُئِلَ عن تكرار زيارة القبر والدعاء عنده، فقال: (لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يُصلح آخر هذه الأمة، إلا ما صلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراد³)، وقال النبي ﷺ: "لا تتخذوا قبري عيداً"⁴.

9. قل لمن طلب منك أن تبلغ سلامه للنبي ﷺ: أكثر من الصلاة والسلام عليه، فإنه سيبلغ سلامك من هو خير مني.. ملائكة الله عليهم

¹ التحقيق والإيضاح لابن باز (100).

² تقدم تخريجه.

³ الشفا للقاضي عياض (205/2).

⁴ تقدم تخريجه.

السلام؛ لقول النبي ﷺ: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام"¹.

10. لا يُشرع قصد المساجد السبعة ومسجد القبلتين تعبدًا أو للصلاة فيها؛ لأنه لم يرد في السنة ولا عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

11. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً"² فاستجاب الله دعاء رسوله فأحاط قبره بثلاثة جدران فلا يتمكن أحد من الوصول إلى القبر فيسجد له أو يدعوه أو يتمسح به، وإن كان بعض العوام -هداهم الله- قريبًا من القبر أو بعيدًا يستغيثون به ويدعونه، فهذا من جهلهم ولا يضر النبي ﷺ شيئًا؛ فالقبر نفسه لم يجعل وثناً.

12. لا تغتر بوجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه في المسجد النبوي، فتظن أن بناء المساجد على القبور جائز، كما ابتليت بذلك بعض بلاد المسلمين، والجواب عن هذه الشبهة من أوجه:

- أولًا: انظر في النصوص المحكمات الواضحات، وأعرض عن المتشابهات، فعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: "... ألا وإن من كان قبلكم

¹ تقدم تحريجه.

² رواه أحمد (7358).

كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" ¹، وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: (لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا²، وعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه)³.

- **ثانياً:** ينبغي أن يُعلم أن المسجد لم يبن على القبر، وأن النبي ﷺ لم يُدفن في المسجد، بل دُفن في حجرة عائشة رضي الله عنها، والتي يفصل بينها وبين المسجد، جدار فيه باب يخرج منه إلى المسجد.
- **ثالثاً:** أن توسعة الخليفين الراشدين؛ عمر وعثمان رضي الله عنهما كانتا من غير جهة الحجرة الشريفة؛ حتى لا تدخل في المسجد، بل أشار عمر رضي الله عنه إلى عدم إدخالها فقال: (فأما حُجْرُ أمهات المسلمين فلا سبيل إليها)⁴.

¹ رواه مسلم (532).

² رواه البخاري (3453)، ومسلم (531).

³ رواه مسلم (970).

⁴ طبقات ابن سعد (21/4).

- رابعاً: أُدخلت الحجرة الشريفة في المسجد النبوي على عهد (الوليد بن عبد الملك) رحمه الله، وذلك بعد موت الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا بالمدينة، فقد تولى الخلافة رحمه الله سنة (86هـ)، وتوفي سنة (96هـ)، وكان آخر الصحابة موتاً بالمدينة (جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما، توفي سنة (78هـ)، فإدخال الحجرة الشريفة لم يكن في زمن الصحابة رضي الله عنهم، فلا يكون فيه حجة شرعية، وقال ابن كثير رحمه الله: (ويُحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً)¹.

◉ وداع المدينة:

الحمد لله على كل حال.. إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا على فراقك يا رسول الله لمحزونون.. كم ذاق القلب من حلاوة جوار رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم!.. كم سكن القلب في مدينة رسول الله ﷺ وطاب.. ولا أدري هل بعد الفراق من تلاقٍ؟.. لعلها آخر زيارة إلى المدينة النبوية ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾².. ربِّ

¹ البداية والنهاية (75/9)، وانظر تحذير الساجد للألباني (84).

² سورة لقمان (34).

لا تجعله آخر العهد بمدينة رسولك ﷺ، وأسفاه على طيبة الطيبة.. وا
أسفاه على الروضة الشريفة.. وأسفاه على جوار رسول الله ﷺ.

أتسلى عن فراقى طيبة بخروجي إلى مكة، فالיום أجاور رسول الله ﷺ،
وغداً سأجاور بيت ربي، وأنعم بقربه ﷺ.. ولو خرجت إلى بلدي فأرجو
أن ينعم الله علي بحسن عبادته تعالى، واتباع سنة رسوله ﷺ حيثما
كنت.. ولي في الصحابة رضي الله عنهم أسوة حسنة، فبعد أن أسلموا
وتعلموا خرجوا من مدينة رسول الله ﷺ هداةً مصلحين.

يا نفس بماذا رجعت من مدينة رسول الله ﷺ وماذا اقتبست من
نورها.. هل حفظت آية أو سورة أو حديثاً؟ هل ازددت عبادة لله تعالى
واتباعاً لرسول الله ﷺ؟ هل تجدد عزمك على التمسك بدينه ونشر
سنته؟ هذا الذي يُفرح رسول الله ﷺ من مقامك بمدينة.. وكأني بوفد
عبد القيس قد وفدوا على رسول الله ﷺ وأقاموا عنده فلما أن أصبحوا
قال لهم رسول الله ﷺ: "كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم، وضيافتهم
إياكم؟ قالوا: خير إخوان، ألانوا فراشنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا
يعلمونا كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا ﷺ، فأعجبت النبي ﷺ

وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يَعْرِضُنَا عَلَى مَا تَعَلَّمْنَا وَعَلَّمْنَا، فَمِنَا
 مِنْ عِلْمِ التَّحِيَّاتِ وَأَمِّ الْكِتَابِ وَالسُّورَةِ وَالسُّورَتَيْنِ وَالسَّنَنِ...¹.

كم من الناس من إذا ذُكر عنده رسول الله ﷺ تأثر بذكره، وإذا زار
 مسجده وقبره اشتد تعلقه واشتاق للقائه (لِما وقر في قلبه من محبته، غير
 أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان)²، فربما تراه لا
 يحرص على سنة النبي ﷺ في عبادته وأخلاقه وسمته.. تمر عليه أيام طويلة
 ولا يتعلم فيها شيئاً من أحاديثه الشريفة ولا سيرته الكريمة.. ربّ تُبِتْ
 قلبي على محبة رسولك ﷺ وارزقني حسن اتباعه وخدمة سنته واللهم
 بذكره والصلاة والسلام عليه.

لك الحمد ربي ما أكرمك! أوصلت صلاتنا وسلامنا على نبينا محمد
 ﷺ حيث ما كنّا، فأبّى تسليّة أعظم من هذه، لن يشبع القلب واللسان
 من الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد اليوم.. وغداً الموعد على حوضه
 الشريف.. يقول أنس رضي الله عنه: (ولقد أدركت عجائز بالمدينة لا
 يصلين صلاة إلا سألن الله تعالى أن يوردهن حوض محمد ﷺ)³.. والفوز

¹ رواه أحمد (1559)، فيه يحيى بن عبد الرحمن العصري: مقبول، (التقريب)، وشهاب بن عباد: مقبول
 (التقريب)، وليس في القصة ما يُستنكر، وهي من أخبار السيرة، ولبعضها شواهد صحيحة.

² لخصه ابن حجر من كلام القرطبي، فتح الباري (60/1).

³ السنة لابن أبي عاصم (698).

الأكبر بمرافقته ﷺ في الفردوس الأعلى "اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد،
ونعيماً لا ينفد، ومرافقة النبي ﷺ في أعلى جنة الخلد"¹.

¹ من دعاء ابن مسعود رضي الله عنه، رواه أحمد (4255).

